أشــرف بــديــر

محطات إنسانية

(سلسلة مقالات – الجزء الثانى)

الطبعة الأولى يناير **2021**

بطاقة الكتاب

عنوان المؤلف	محطات إنسانية
المؤلف	أشرف بدير
التصنيف	سلسلة مقالات (الجزء الثانى)
رقم الإيداع القانونى	2021 - 2561
الترقيم الدولى	978-977-6835-71-9
رقم الإصدار الداخلى	708 الطبعة الأولى يناير 2021
عدد الصفحات	118 صفحة
تصميم الغلاف	مؤسسة النيل والفرات



أعراض العشق المهلكة

لم تكن أبداً تلك الكلمات الرقيقة، في تلك اللحظات القصيرة، والنظرات ذات السهام الراشقة غير المقصودة؛ لم تكن أبداً سوى شرارة البدء، وعلامة الانطلاق، نحو عالم آخر من التيه، عالم يتخطفنا نحو طريق مجهول، نعم؛ فلقد كانت تلك الدقائق المعدودة، في رحاب قربك الزائف، والتي جذبتني نحو عالمك الشائك المحفوف بالمكاره، والمحاط كثيراً بالمخاطر، ذاك العالم الذي أعاد بث روح الأمل في عقل قد تاهت عنه الأفكار، وهدأت فيه ثورات الفكر الهائج .. فها تلك نظراتك وهمساتك الأولى يا صغيرتي، قد أتت على بقايا وحطام مشاعر قد أضحت من قبل رماداً من بعد اتقاد، فحالتها إلى أشلاء تتناثر في سماء العشق الملبدة بغيوم الفراق، فحملتها رياح العبث نحو بحور مظلمة من سراب وضباب..

فرفقا أيتها الروح الساحرة الجميلة، رفقا بمن هام على وجهه نحو ناظريك عشقاً، رفقا بمن راح في غيابت بئر الشوق غرقاً، رفقا لمن عاد يمشي صوب طريق قد ضل عنه منذ الأزل كل العقلاء والحكماء، فلم يعد له منك سوى حق اللجوء الأبدي عشقاً، نحو ذاك السحر الشارد من عينيك، ليكون عبداً خاضعاً خاشعاً في محراب العشق السامي الدامي، دائم الصلاة بمعبد ملكوت قلبك الدافيء، وليتعبد في محراب فكرك الجاذب، كي ينهل رشفات قليلة من رحيق عينيك، فتقمن أوده مدى حياته العابثة، حتى يأتيه الموت بغتة، فيغدو شهيداً للعشق العابث، على ضفاف أنهار عينيك..

الحلم الأكبر

كنا في الصغر، نسعد ونتغنى بحلم الوحدة العربية، وكانت معلمتنا في مادة الدراسات الاجتماعية تقول شارحة على الخارطة:

إن أمتنا العربية يا أبنائي أمة مترابطة الأواصر، متماسكة الأطراف، وطن واحد .. وكانت تعلمنا أن تاريخنا واحد، وحضارتنا عريقة شامخة، تمتد عبر التاريخ، وأرضنا كتلة واحدة متلاصقة، وأن حكامنا وقياداتنا إخوة، لا تفرقهم المصالح أو المنافع، وكانت المعلمة تنبهنا دوماً: أن عدونا واحد غادر خائن لا عهد له، ويحتل قطعة غالية من أرضنا العربية ..

كانت المعلمة تحلم، وكنا نحلق معها ونحلم بالوحدة العربية،وبأن وحدة أمتنا العربية قادمة لا محالة، وأنها ستكون أمة واحدة، لايفرق أو يفصل بينها حد أو حديد شائك، أو حتى حرس للحدود، وأننا سنكون شعباً واحداً، يعيش على أرض واحدة، وسيكون جيشنا العربي جيشا قوياً، مهمته فقط محاربة العدو الخارجي..

كنا نوقن أن ذلك سوف يحدث في يوم ما، فمعلمتنا أبداً أبداً لا تكذب، ولا تضلل أحداً، ولا تنافق جهة أو شخصاً، ولم تغرر بأفكارنا يوم ما، وأقوالها دائما تكون صدقاً، وحديثها دوماً يكون حقاً من الواقع.

ومرت السنون، وأصبحنا كباراً، وأصبحت أمتنا العربية مقسمة إلى دول أكثر انفصالاً، لها حدود محصنة، وقد تفككت كل دولة إلى عدة دويلات، وولايات، وكيانات، وأحزاب، وجماعات وطوائف متنازعة، ومتعارضة، ومتعاركة، ومتعادية..

ثم.. نسينا حلم الوحدة الأكبر، ثم.. تصادقنا مع العدو الغادر الخائن، ثم.. أصبحنا أعداءاً لأنفسنا، نقاتل بعضنا بعضاً، ثم..عادت أحلامنا مرة أخرى إلى الماضي البعيد، وأصبح حلمنا هو الوحدة في كل دولة، ثم.. علمت بعد ذلك أن معلمتنا قد ماتت، ومات معها حلمنا الأكبر

هجرة القلوب

وهل كانت القلوبِ في حل من أمرها في هجرتها الشتوية، وهل كان ارتحال تلك القلوب والأفئدة عن شغافها، كما الطيور ترتحل عن أوكارها جبرا؛ إلا بإيعاز وتلبية لنداء قلبك المحرض دوماً على ثورات الهجرة الشتوية؟!،

نعم أراها هجرة جبرية لا إرادية، وإلا.. فما الذي يجعل قلبي دومًا يهجرني إليكَ رغما عني في كل شتاء؟!

وهل دوماً يحتاج قلبي لتلك الأشعة الدافئة التي تنبعث من مدار روحك، فتجتاز المدى عبر مسافات طويلة من الزمان والمكان، فتصيب خلجات روحي شوقاً، فتبعث بها نحو شغاف قلبي، فينزع لهذا الشعاع الدفئ، ليقيم بها أوده على مدار العام.

ترى .. ما تلك الروح الخفية، التي تحملني إليك كل شتاء، في رحلة خلوية نشتم فيها عبير أنفاسك، ونشاهد معها صفاء روحك، تحرسنا حتى عنان السماء، ونسهر معها في ليل قمرك، الذي يقهر لبد الغيوم، فنهيم على وجوهنا شوقاً للقاء القلوب، مع بزوغ فجر صباح شتوي، عندما تشرق شمسه من سحر عينيك.

هل تعلمين وأنت في أقاصي الزمان والمكان، أن روحي لم تزل تتوق شوقاً نحو خلجات روحك، وأن أفكاري القويمة ما هي إلا وحي مقدس من أفكار عقلك، وأن نبض قلبك دوماً يسري في شرياني، فيبعث في قلبي حياة نقية دافئة، بلا آلام أو أحزان، وأن شمسك لم تزل تشرق في جنبات حياتي، فتنير وتدفيء طرقات عمري، وأن همس أنفاسك يجلجل في آذاني، تخبرني دوما بأني لك وحدك، وأنك مليكة عقلي وقلبي وروحي، في كل زمان ومكان.

تلك يا أميرة قلبي، مسيرة عامي المنصرم، منذ تفرقت روحانا قصراً، وانفصل قلبانا جبرا، على حافة شتاءك الذي لملم أوراقه بغير وداع، في موعد لم يخلفه، عائداً لأدراجه في سماء انقشت عنها الغيوم، متلهفا لهجرة وترحال آخر، يؤدي بقلبي الكسير نحو أحضان دافئة، تقمن أوده، على أعتاب نهر يتوارى شاطئه خلف ضباب وغيوم، في نهار شتوي جديد..

حافظوا على القلوب الطيبة

منذ سنوات طويلة، وقعت بيدي عملة ورقيه فئة واحد جنيه، ولكونها كانت قديمة ومهلهلة فلم أستطع تصريفها، أو الانتفاع بها، وأودعتها بحافظة نقودي من باب التفاؤل والتبرك بها، ثم مر وقت طويل وما زالت الورقة بحافظة نقودي، وأصبح من المعتاد أن أعثر عليها أو أتعثر بها في الحافظة، كلما حاولت أن أستخرج نقوداً منها، حتى صارت هناك ألفه مع تلك العملة الورقية، حتى أنني كنت أتأكد من وجودها بحافظتي كل صباح، وأشعر بالطمأنينة والراحة لوجودها، حتى لو لم يكن معي نقوداً غيرها، فأصبح وجودها معي يمثل نوعاً من الأمان بالنسبة لي ...

وذات يوم كنت أشتري شيئاً ما، ولم يكن معي نقوداً سواها، فأخرجتها من حافظتي على استحياء متظاهرا بأنني قد نسيت نقودي، ولمحها البقال في يدي فأعجبته لندرتها، فأبدى استعداده لأخذها مقابل ما اشتريت منه، ومع إلحاحه الشديد أعطيته إياها، وقتها شعرت بأنني أقطتع جزءاً من جسمي..

ومنذ ذلك الحين الذي تخليت فيه عن عملتي الورقية، أحسست بفقدي لشيء عزيز علي، وشعرت بشيء من مرارة الحياة، وكلما مررت على البقال تذكرت عملتي التي أعطيته إياها، وأوشك أن أسأله عنها، وذات مرة سألته عنها علها تكون لاتزال لديه فاستعيدها منه، ووجدته يتذكرها، وقرر أنه باعها لأحد من جامعي العملات النادرة، وسط عملات أخرى كثيرة، وقتها فقط، تأكدت أنني لن أستطيع استعادة عملتي هذه، وأنها لن تعود إلي ثانية، وأنني قد فقدتها للأبد، وهنا فقط شعرت بمدى الخسارة الكبيرة بفقدها ...

حقاً؛ قد لايشعر أياً منا بما تحت يده من الأشياءالثمينة، أو النعم الجميلة، إلا أنه حينما يفقدها يزيد حنينه وشوقه إليها، وتسوء حالته ويشعر بالخسارة الشديدة وعدم الأمان بفقدها، رغم أنه طالما تمرد عليها، وقتما كانت بيده، ولم يشعر بها يوماً، ولم يعطها حقها من الحفظ والحب والمشاعر ...

حافظوا على ما بين يديكم من القلوب الطيبة، فهي صمام الأمان لحياتكم، ولاتفرطوا فيها من أجل لذة وقتية، أو متعة زائلة، كي لا تندموا يوماً لا ينفع ندم لفقدانها..

أعرف أنك تحبني، وتعلم أني أحبك..

لقد كانت ثوان معدودة، عشتها في قربك، دان من معيتك، قابع في رحابك، لم أتوقع فيها غير لقاءك، لقاء المحب بالحبيب، لم تبصر عيناي سواك، ولم يخطر ببالي غير جلالك، ولم يتوقف عقلي عن التفكير فيك وحدك، ولم ينبض قلبي إلا مسبحاً كثيراً بحمدك.

نعم أنا العبد الذي طالما أذنب في جنبك، وأنا العبد الذي كثيراً عصاك، أنا العبد الذي ابتعد قليلاً وانحرف كثيراً عن دربك، كنت أتيه في دروب العمر، أسير على ذرات الجمر، أعشق ليل دامس في ظلمات الجهل.. لكن عزائي؛ أني دوماً كنت أعود إليك، أنوب لجلال وجهك، أتوب خاشعا لعظمتك، وليشفع لي؛ أني لم أشرك يوماً في وحدتك، وليغفر لي أني دوماً كنت أعود إليك، وليغفر لي أني بحق أحبك .

في تلك اللحظة التي أدرت فيها ظهري عن الحياة الدنيا، وأقبلت بوجهي رغماً عني على الموت، لاحول لي ولا قوة إلا بك، كنت خاضعا لقضائك، خاشعا لقدرك، قانعا بكتابك، ذليلا لعزتك، ضعيفا أمام قدرتك.

في تلك اللحظة.. يغمرني لطفك، وتحيط بي رحمتك، وينفذ في قضاؤك، ويجري علي كتابك، فأنجو .. بكرمك، ولطفك، ورحمتك، وعزتك، وقدرتك.

يارب، لك الحمد كثيراً حتى ترضى، ولك الحمد طويلاً إذا رضيت، ولك الحمد دائماً بعد الرضاء، ولك الحمد في السراء والضراء، ولك الحمد على كل حال.

ولا حول ولا قوة إلا بك ..

رفيقة العمر

جلس بين ابنتيه" نهال ومرام"، يحكي لهما عن والدتهما، رفيقة العمر، وقال:

" كانت ترقد على فراش المرض تسري عني، فتقسو على نفسها كي تخرج كلماتها دون ألم، لتجعلني أبتسم حين تجدني حزينا عليها.

كانت تذكرني بأيام خطبتنا، وقتما كنا نهرب من حرارة الطقس، فكنا نفترش الأرض ونجلس تحت شجرة الكافور العملاقة خلف منزلها، فتهفهف علينا نسائم العليل، فنغفوا للحظات، ثم نفيق فزعاً على صوت والدها ينادينا بصوت عال: أين اختفيتما يا صعاليك؟ إظهرا في الحال أفضل لكما، فتتعالى أصوات ضحكاتنا، حتى يسمعنا فيضحك هو كذلك..

ثم تذكرني بيوم زفافنا عندما تراقصنا على أنغام موسيقى أغنية عبدالحليم "جانا الهوى" حتى تناسينا الحاضرين من حولنا فاحتضنت خصرها، ولم نشعر بأنفسنا إلا مع تعالي صيحات وتصفيق الحضور، فانتبهنا وتباعدنا في خجل شديد..

كذا تذكرني: وقتما أنجبنا ابنتنا الأولى، عندما أصرت جدتي العجوز أن تسميتها بإسمها القديم جداً "إعتدال" وبعد عناء منا وافقت أن نسميها بأقرب إسم لها "نهال" وكم أضحكتنا جدتي في تلك الليلة كثيراً ..

ثم ..ثم.. خارت قواها وهي تحدثني، ولم تعد تقوى على إخفاء دموعها أو آلامها، وهي تحثني وتستحلفني بالله، ألا أضعف لحظة من بعدها أمام ابنتينا، كي تواجها قسوة الحياة بغير أم .

كيف يا حبيبتي، كيف توهمت للحظة واحدة، أني أقوى على الحياة من بعدك؟! كيف لاح بخاطرك أنني لم أكن أتألم لألمك؟! بل كنت أموت كل يوم مرات ومرات، تحت قدميك، كيف يمكنني وبعد ثلاث سنوات من فراقك أن أخلد إلى النوم قبل أن أجلس إليك، وأحكي لك رحلة يومي، وأسمع لعذب صوتك، كيف يمكنني العيش إلا على ذكراك؟! كيف أغمض عيني، وأنت الآن ترقدين هناك بعيدة عني، في عالم تيه لا أعلم مداه، تحت تراب لا أدري كيف يطيب لك ثراه ؟؟!

عزاؤنا يا حبيبتي: أنك الآن في حضرة وجوار ورحمة الإله ..

وماذا بعد زفاف ابنتنا ؟؟

بعد عناء يوم طويل، جلس الأستاذ "أحمد" على حافة فراشه في غرفة نومه، ثم عاد بذاكرته الى الماضي قليلاً :

كنا نحلم معاً بهذا اليوم، يوم زفاف ابنتنا "سلوى" فأنت من وضعت كل تفاصيله ولمساته، منذ خطبتها قبل عامين، وأنت من قمت بتنفيذ ما سطرته بخط يدك، وما اخترته من الأجهزة والأدوات من شوارها ومتاعها، وقاعة الحفلات التي أعجبتك، ومصفف الشعر، وشكل فستان الزفاف، وأسماء المدعوين، ولم تنس حتى تفصيلات ولمسات هذا اليوم، يوم عرسها، فأنت من اخترت لي البدلة التي سأرتديها يوم عرس ابنتنا، والقميص وربطة العنق الحمراء، والحذاء بني اللون..

ها أنا اليوم، قد نفذت كل ما قلته لي حرفياً، فقد قدت لهما السيارة، من أمام محل تصفيف الشعر حتى قاعة حفل الزفاف، ثم تراقصت مع ابنتنا على مسرح العرس، رغم مرضي وتعبي الشديد، وقد ضممتها إلى صدري عندما بكت افتقاداً لك، وأنا كذلك من قدت بهما السيارة نحو منزل الزوجية أيضاً..

ثم.. ها أنا الآن أجلس وحدي، بذات الغرفة التي كنا نحلم فيها معاً، ولكنك لم تخبريني يا رفيقة العمر، ماذا سأفعل بعد **؟!**

كيف سأواجه متاعب وعقبات الحياة من بعدك، كيف سأعمل دون أن أسمع صوتك عبر الهاتف، كيف أتناول الطعام وحدي، كيف سأخلد بمفردي إلى النوم في هذا الليل الطويل، كيف سأعيش تلك الحياة بدونك**؟!** لم لم تخططي لي حياتي من بعدك**؟!** فمنذ اختارك الله لجواره الكريم، وأنا أمضي على طريقك، الذي رسمته لي، حتي يوم عرس ابنتنا، لكني الآن لم أعد أعرف ماذا سأفعل بعد زفاف ابنتنا اليوم...

فما أقسى الحياة بدون عقل يفكر، وقلب يشعر، ورفيق يؤنس.. ما أقسى الحياة يا رفيقة العمر من بعدك..

تمسكوا بمشاعركم النبيلة..

رواية "قصة حب" للكاتب إيريك سيجال، تدور أحداثها حول شخصيتين أساسيتين، هما: الشاب "أوليفر" الأمريكي الأصل الوسيم، سليل عائلة ثرية، ينتمي للطبقة الأرستقراطية، يدرس القانون بجامعة هارفارد، ويهوى رياضة هوكي الجليد، والشابة "جينيفر" الجميلة الرقيقة الإيطالية الأصل، تهوى الموسيقى، وتتدرب على آلة البيانو، تنتمي للطبقة الوسطى، كانت تعمل لتساعد والدها بعد وفاة أمها، فعملت موظفة بالخزانة لتوفر نفقات دراستها بالجامعة.

التقى "أوليفر وجيني" في مكتبة الجامعة، شاكسته جيني بمرحها المعتاد، جذبته طلتها البسيطة، دعاها ليقوم بتوصيلها بسيارته إلى منزلها، إلا أنها فضلت أن يسيرا على الأقدام، تحدثا كثيراً، سرت بينهما مشاعر الحب والغرام، ثم التقيا كثيراً بعد ذلك، وتعاهدا على الزواج وألا يفرق بينهما سوى الموت، إلا أن والده رفض زواجهما بشدة، لكون جيني فتاة فقيرة، ولا تنتمي إلى طبقتهم، وهدد أوليفر بحرمانه من المال والحياة الرغدة.

لم يعر أوليفر تهديد والده اهتماماً، وقرر أن يتمسك بفتاته، وتزوج الحبيبان، عمل أوليفر كي يعوض مال والده الذي حرم منه، وعاشا حياة سعيدة، ذاقا فيها حلاوة الحب، ثم تبدل الحال، وألم بجيني مرض عضال، فأنهك جسدها النحيل، وتطلب علاجها نفقات باهظة، قرر أوليفر ألا يترك حبيبته تعاني الألم الشديد، لم تمنعه عزة نفسه أن يلجأ إلى والده طالباً المال، رفض الأب في البداية، ثم رق قلبه أمام سطوة الحب، منح ابنه ما يلزم من المال..

لم يفد المال كثيراً،أمام سطوة المرض الخبيث، الذي أنهك جسد جيني فذبلت عيناها اللامعتين، وشحب وجهها الجميل، وأخبر الطبيب المعالج أوليفر بدنو الأجل، لم يفارقها لحظة، ثم جاءت لحظة الفراق، احتضن أوليفر حبيبته جيني بشدة، تلاقت أعينهما مملوءة بالدموع، ثم خارت قواها، سقطت جيني بين يديه، بكى أوليفر كثيراً..

أيها السادة: تمسكوا بمن تحبون، ولا تفلتوهم من بين أيديكم لأي سبب، فالمشاعر الصادقة لا يعوضها مال أو جاه أو منصب أو سلطان، كما لا ينهيها بعد أو فراق أو موت، تلك المشاعر التي أبقاها أوليفر فوق كل الأسباب، ففاز بحياة راضية سعيدة مع محبوبته ولو كانت قصيرة، وعاش على ذكريات جميلة بقيت معه حتى نهاية العمر ..

ملاك الأوهام

وهل كانت القلوب بين أيدينا لينة طائعة، وهل لاحت لنا بادرة القرب إلا قدراً، وهل ذاقت عقولنا الأمرين إلا بحثاً عن بصيص أمل، من بعد شقاء وعناء ونصب، وهل ضاقت أعيننا ذرعاً من البشر إلا تحريضاً من سحر عينيك؟!

عندما تأهبت شمس الغروب يوماً إلى الزوال، في مشهد قاتم، ذابت معه قلوب العاشقين ألماً وحزناً، وعندما غربت عنا نسائم العليل وتركتنا في لهيب العشق بلا شفقة ولا رأفة، فزرفت معها مآقي المحبين دماً ودموعاً، ووهنت في ضعف مميت زقزقة وتغريد العصافير، فباتت في أوكارها، تعزف لحن الموت القادم بلا حراك أو هروب أو مجير، وبكت كل قلوب العذارى شوقاً وعشقاً بلا أمل في عودة الغائبين..

لذا، فلا عجب أن تلوح من وراء الأفق، تلك الغمامات القاتمة، ولا عجب أن تغرب عن دنيانا كل سحائب مطر الخير، ولا عجب أن تختنق النجوم في عنان السماء ألماً وحسرة.

ها أنا ذا يا مليكتي، ما زلت أعيش بقلب ينبض وهناً، ما زلت أتنفس هواء مغمس بذرات الأسى بين جنبيه، وما زلت أتجرع مرارة الفراق بكأس الهوى، ومازلت أمشي سيراً على الاقدام بلا هوية، ولا هدف، ولا طريق معلوم، ما زلت أركض نحو سراب بعيد لا نهاية له، ما زلت أيضاً أعتنق مذهب العشق المهلك بغير إرادة، ما زلت أبحث في دفاتري القديمة عن أحرف خطتها شفاه مضطربة، فأهتدي بها نحو دروب الجمال، ما زلت أفيق من غفوتي على صوت شجي ندي يهز كل أرجاء كياني، يخبرني كذباً بأن الحب دوماً يملأ قلبي، وما زلت تائه ولهاً في سماء الشوق القاتل عمداً كل قلوب قد نبضت في أرض العشق الغادر، ما زلت أبكي في محراب الشوق بحثاً عنك، ورغم كل ذلك؛ مازلت أحبك، وأعيش على ذكراك.

وهل هناك شك أنك لست كغيرك من البشر، وأنك لا ريب ملاك يطوف بجناحي نور، فيضيء دروب العاشقين، وأنك في برجك العالي، تنثرين عطر الصبابة العتيق، فيصيب وجوه المشتاقين، وأنك في زهوك وكبريائك، ترشقين سهام الوله والشوق، في قلوب المحبين.

وبرغم كل ذلك، مازلت أطوف طوعاً في محرابك، محراب العشق الغادر الزائل المميت.

أما بعد

فاعلمي يا حبيبتي: أن الحياة أقدار مقدرة، فما نلاقيه من مرها وحلوها، محكوم بإرادة الخالق، فهو وحده يعلم الحكمة من وراء أقدارنا، وما علينا إلا الرضاء، بلا سخط أو امتعاض، وعليك يا حبيبتي وقرة عيني، أن تقبلي بأمر الله في، وما قدره لي، كما قبلته أنا من قبل، فالموت والحياة قدران، مقدران بيد الرحمن الرحيم.

أعلم يا فاطمتي: أن مرارة الفراق، سوف تنهك جسدك النحيل، حتي أنك لن تقوي على تحمله، ولكن ياحبيبتي؛ عليك بالصبر والجلد ، واعلمي: أن فلذات أكبادنا هما مستقبلنا المقبل، ونجمانا المنيران لنا الحياة، فتجاوزي من أجلهما مرارة الفراق، علمي ولدينا أنني لم أكن يوماً ما ضعيفا أمام قسوة المرض، كما أنني لم أهرب يوماً من شبح الموت، وأن سفري للتداوي خارج البلاد؛ ليس إلا أخذاً بالأسباب، وليس تشبثاً أبداً في الحياة.

أعلم يقيناً يا فاطمتي ياقرة عيني: أن تلك الرسالة التي تركتها لك مع رفيق رحلتي؛ قد تكون الرسالة الاخيرة بيننا في تلك الحياة، تلك الحياة التي ضاقت بنا ذرعاً، والتي لم تحن يوماً عليك في مرضي، ولن تحنو أيضاً عليك بعد موتي، ولكني أردت فقط بها أن أسري عنك، كي تكون بمثابة مرسال التآلف بين روحينا، كلما ضاقت بك الحياة .

نعلم يا حب عمري ورفيقة دربي: أن الحياة مهما طالت قصيرة، وأنه لامحالة سوف يجيء يوماً للفراق، وأراه قد دنا مني في تلك الغرفة الضيقة البعيدة عنك، وعن فلذات أكبادنا "عمار وإياد" اللذان أشتاق إليهما وإليك، بعدد ذرات الهواء، وقطرات المياه، التي تفصل بيننا، ولكنه قدر الله فينا، ان يهب كل منا روح الآخر، كي يعيش من يبق بعد الآخر، بروحين وقلبين، ودون حياة.

حبيبة قلبي وفؤادي، ونور عيني وسهادي، وحب عمري ونهادي، فاطمة: سلاماً لك حتى ألقاك في عالم أفضل، لاينتهي بنا إلى فراق.

"يدخل الشابان "إياد وعمار" الحجرة على والدتهما، فتطوي الرسالة في صمت، وتنخرط في البكاء وهي تنظر إليهما، فيحتضناها في حنان، وكان ذلك في الذكري العشرين لوفاة الزوج الحبيب رحمه الله .

أحلام ضائعة

كنا صغاراً، نلعب معاً، نأكل معاً، ندرس معاً، رغم أنني كنت أكبرها بثلاثة أعوام، إلا أنه كان ارتباطا وثيقاً بيننا، بحكم الجيرة والقرابة بين أسرتينا، فلم نكن نفترق يوماً، وإذا حدث ذلك؛ تأخذنا عند اللقاء لهفة عارمة، وبدأنا نشب ونكبر معم مرور الأيام، لم يتخيل يوماً أحدنا شكل حياته بغير الآخر، فتعاهدنا ألا نفترق، وبعد تخرجي من كلية التجارة، وإنهاء خدمتي العسكرية، وكان التطور الطبيعي للأحداث، أن أتقدم رسمياً لخطبتها، إلا أنني فضلت أن أبدأ رحلة الكفاح والسفر أولاً، دعتني لخطبتها قبل سفري، وألحت علي، كي لا تكون لغيري، إلا أنني عزمت على السفر.

سافرت وعملت، ولم أنساها يوماً، فقد كانت دوماً في عقلي وقلبي، حتى جاء خبر خطبتها كالصاعقه على، حاولت الإتصال بها دون جدوى، ثم علمت أن زفافها سيكون بعد تخرجها، وكان قراري بالعودة بعد عامين من سفري، ثم كان اللقاء الأخير بيننا بمثابة إنهاء لسنوات الماضي الجميلة، حاولت إقناعها بأن سفري كان من أجلها، ولأجل بناء مستقبل أفضل يجمعنا، ولكن دون جدوى، أيقنت أن جرحها كان أعمق من أن يداويه الكلام، وانتهى اللقاء بيننا بمرارة الوداع.

عدت إلى عملي خارج البلاد، وكنت أشعر بفقدان كل سنوات الماضي بلا مقابل، مع إحساسي بخيبة الأمل، وأن كل أموال الدنيا لن تعيد لي لحظة حياةجميلة عشتها في الماضي، وعلمت أن جمال الحياة؛ أن نكون مع من نحب، في أي ظروف نكون عليها.

لم تكن السعادة يوماً ما في جمع المال، أو السعي نحو الشهرة، أو السلطة، إنما السعادة أيها السادة، تكون دوماً في القرب المشروع من الأحبة ..

المجهول

ترى، ما هذا العالم العجيب الذي نعيش فيه، وأي بشر هؤلاء الذين لا يأبهون بمن حولهم، فلا يشعرون بأحزانهم أو بآلامهم، فقط كل منهم لا يهتم بغير نفسه، أراهم في حالة من التغيب والتيه، غياب عن المشاعر الإنسانية الصادقة، فقد أصابتهم حالة من البله، التي تجعلهم يعيشون في كهف عميق بعيداً عن الآخرين..

مال هؤلاء يهرعون، كل بطريقته نحو سراب من المتاع الدنيوي، كأنهم قد فقدوا عقولهم إلى حد من الجنون المطبق،أو قست قلوبهم إلى حد من التحجر الصلد، فباتوا لا يفكرون ولا يشعرون، سوى بملذات الحياة الفانية، بعيداً عن المشاعر الصادقة، وأهمها مشاعر حب الآخرين..

بيد أن هؤلاء البشر قد ظلموا أنفسهم كثيراً، وبعدوا تماماً عن طريق الصواب، نحو عالم آخر غير محمودة نهايته، وغير مرجوة غايته..

أرى أن ذلك هو سبب وجودي في هذا المكان الذي أعيش فيه الآن، والذي يحيط به سور عال، وسلك شائك، ولا أعرف عنه شيئاً.

ترى، من يكون هذا الرجل الأنيق، الواقف في ركن هذه الحديقة البعيد، هذا الذي يرتدي دوماً معطفا أبيض، ويحمل تلك الآلة الغريبة المدلاة من بين أذنيه، فيدور علينا كل مساء ويضعها فوق صدورنا، ومن ذاك الرجل الضخم الذي يرافقه ويتبعه أينما كان، وينفذ أحكامه فينا بطاعة وبغير نقاش أو جدال، فعندما يشير نحو أحدنا، فيشك ذلك الرجل الضخم جسده، بذلك الجسم الصلب الدقيق، فنهوى في الفراش بغير شفقة أو رحمه، ثم يشير له نحو آخر، فيلجمه بلجام متين، ثم يقوم بكل قسوة بتوصيل بعض الأسلاك بأطرافه، فينتفض صعقاً..

أرى هؤلاء وكل من معهم ومن على شاكلتهم وقد نزعت من قلوبهم الشفقة والرحمة، بل لقد نزعت من صدورهم تلك القلوب، ولم تعد لديهم تلك المشاعر الإنسانية..ويلي، إني أراهما الآن يأتيان نحوي، هل أفر هاربة منهما ؟ ولكن إلى أين أذهب؟ أم أصرخ حتي ينقذني أحدهم، لكن من هنا غيرنا وغيرهما لينقذنا؟!

أراني كعادتي، أجلس في مكاني بلا حراك، ليس لدي القوى التي تساعدني على الفرار منهما، ها هما قد وصلا إلي، أراني أستسلم لهما بلا صراخ، ها هو الرجل الضخم يمسك بيدي الضعيفتين في غلظة، ويأتي الرجل الأنيق المظهر ذو المعطف الأبيض، يضع آلته المدلاة من أذنيه على صدري، ويتفحص جسدي، ثم يشير إلى تابعه، فيشك الرجل الضخم زراعي الضعيفة بغلظة، فتخور قواي، وأهوى بين يديه على فراشي في هدوء وبلا حراك.

ترى، من نكون نحن؟! وما السبب الذي يجعلهما يفعلان بي وبمن معي ما يفعلانه، وأي ذنب قد اقترفناه أنا ومن معي في حق هذين الرجلين، حتى يجعلونا نتألم كل يوم بلا رحمة ولا شفقة ولا مشاعر إنسانية، ولماذا يطلق علينا الجميع هنا هذا اللقب الذي لصق بنا، فلم نعد نعلم لنا إسما سواه، ولماذا ينادينا الجميع هنا بهذا الإسم الوحيد، وماذا يعني هذا اللقب : "مجنون" ؟! ..

الوفاء الأبدي

تنهدت الأرملة الشابة الجميلة طويلاً، قبل أن تجيب على طلب صديقي الزواج منها، مقررة بأنها متزوجة، تعجبت وصديقي من ردها، لعلمنا بوفاة زوجها، وقبل أن ينطق أحدنا بكلمة بادرتنا قائلة: نعم، لقد مات زوجي، ولكنه لم يزل يحيا، ينبض به قلبي، يفكر به عقلي، وتسكن روحه الطاهرة جسدي.

استطردت تقول: مازلت أذكر، كيف حارب الدنيا كي يتزوجني، مازلت أذكر في يوم زفافنا، عندما أصر أن يحملني من بيت والدي إلى بيته، عند هطول المطر، مازلت أذكر يوم أنجبنا ابنتنا الكبرى، فحملها وطاف بها بيوت أهله وأهلي، من شدة الفرح، مازلت أذكر عندما كانت تلم بنا ضائقة، ويضيق بنا الحال، فأعرض عليه بعضاً من مصاغي الذهبي، فيأبى بشدة، قائلاً: لن أتصرف فيه مادمت حياً، مازلت أذكر عندما مرضت لعدة أيام، كيف كان يبكي بكاءًا شديداً ولم يفارقني لحظة، فيرعى ابنتينا، ويقوم بكل أعمال المنزل حتى أتعافى، ومازلت أذكر عندما ألم به ذلك المرض العضال، كيف كان يواسيني، ويداعبني، ليخفف عني هموم الدنيا وهو يتألم .

وأضافت: لم يكن فقط زوجاً، بل كان أباً وأخاً وابناً وصديقاً ورفيقاً، لم أشعر يوماً بفراقه، لأنه دائماً معي، أراه ويراني، أتشاور معه في كل تفاصيل حياتي، وما يخص ابنتينا..فكيف لي أن أنساه لحظة، وكيف لي أن أعيش مع غيره؟! أراه في مرآتي، وفي وجه ابنتي، وفي فراشي بغرفة معيشتي، وفي كل جوانب بيتي .

معذرة سيدي، فإن زوجي يسكن قلبي، وعقلي، وروحي، بعد أن فارق جسدي، وأدعو الله ليلاً نهاراً، ألا يفارقني حتى ألقاه في حياة أفضل.

نهضت أنا وصديقي من أمامها، دون أن تشعر بنا، وكل منا ينظر إلى الآخر في دهشة وتعجب، من هذا الوفاء الذي كانت عليه هذه السيدة، بعد سنوات من وفاة زوجها ...

نعم يا سادة، إنه الوفاء الذي يجعل صاحبه دوماً راضياً بقضاء الله، وقانعاً بقدره، سعيداً بما قسمه الله له في تلك الحياة ...

الزهايمر

ترى، من جاء بي إلى هذا المكان الغريب، لا أذكر كيف جئت إلى هنا، لا بد أنني جئت إليه عبر ذاكرة ضعيفة، ما زالت تعلق برأسي، ولابد أن هذا المكان يهمني كثيراً، حتى أجيء إليه في هذا الوقت من العام، مع هذا الطقس قارس البرودة، أراني لم أعد أذكر شيئاً، فقط أشعر أنني أعشق هذا المكان رغم وحشته، كما أنني أتذكر أيضاً شيئاً غريباً، أذكر أن شخصاً ما كان يرافقني في هذا المكان، وفي مثل هذا الوقت من العام، وأتذكر جيداً تلك النسمات التي كانت تهب علينا في رفق، فكنا نركن إلى الجانب الدافيء من قلوبنا، فيمسك هذا الرفيق بكف يدي ويشبك أصابعه بأصابعي، فينساب منهما حنيناً يسري بين أضلعنا، فتنتعش روحانا دفئاً وتتآلف عشقاً..

أنا لا أذكر إسم هذا الرفيق، حتى ملامحه لم تعد تعلق في ذهني، فقط أشعر أنني كنت دوماً أحتاج إليه في كل وقت، أتعلق به كثيراً، أتوق إلى رؤياه، كي أستنشق نسمات الهواء العالقة بمحيط عينيه، أراه دوماً يمنحني مشاعراً من الحنان والعطف والحب فتقمن أودي.. ومع كل ذلك لم أعد أذكر عنه شيئاً..

ترى، من يكون ذاك الشخص الذي يرقد الآن بجانبي على ذات الأريكة؟! هو أيضاً يمسك بكف يدي ويشبك أصابعه في أصابعي؟! ولماذا ينظر إلي بهذا العطف وتلك المودة؟!! أراه بذات الصفات التي تعلق في ذاكرتي، عن ذلك الرفيق الذي تحدثت عنه، أراه الآن يهم ناهضاً ومازالت أصابع يدينا تتعانق في مودة، أراني أنهض معه في طاعة وهدوء، ثم يصحبني إلى مكان أكثر دفئاً في الداخل، ثم يساعدني برفق لأخلد إلى فراشي بلا ضجر أو ضيق، إنه يرقد بجواري في ذات الفراش، يربت بيده الحانية بعطف على كتفي، ويمسح بمودة على جبهتي، ويغني لي بصوت خافت، فأغفو في هدوء وسكينة، ثم أروح في سبات عميق..

القمر ينتحب

لم أعد أستطيع تحمل البعد عن حياتنا العميقة الجميلة، أرجوك أعدني إلى بيتنا، وإلى غرفتنا وفراشنا، فهناك، فقط هناك، وسط كل الذكريات الجميلة، سوف أكون بخير

ويستطرد صديقي:

بتلك الكلمات، بدأت رفيقة العمر تتوسل إلي، كي أعيدها إلى منزلنا، بعدما حار الأطباء في أمرها، وبعدما طالت مدة علاجها في إحدى المشفيات الخاصة، دون جدوى، فقد مكثت بها ما يقرب من ثلاثة أشهر، دون أي تحسن في حالتها الصحية، لم يعد أمامي سوى أن أرضخ لرغبتها، والتي قد تكون الرغبة الأخيرة، فعدت بها إلى منزلنا ..

هنا في تلك الغرفة العلوية، التي تطل بجزء من شرفتها على نهر النيل الذي طالما كان رفيقاً لنا مع القمر في ليالي السمر، فكنا نجلس إليهما أوقاتاً طويلة، ونتسامر معهما في بعض الوقت، ونشكو إليهما أحياناً أخرى، ونسعد كثيراً معهما، ونبكي إليهما، ونداعبهما أحايين كثيرة وكذا تطل بنافذتها الزجاجيةعلى غصون أشجار الكافور العملاقة، فتضفي عليها خصوصية بالغة، وتمنحنا هدوء، مع بهجة الحياة .

وفي ليلة من ليالي الخريف، يطل علينا فيها القمر بنوره متسللاً إلى فراشها، وقد ارتمت بجسدها النحيل بلا حراك على يدي، وأسندت رأسها بجبينها المتصبب عرقاً، على صدري، ثم بصعوبة بالغة، استدارت نحو النافذة، ونظرت إلى ذاك القمر الرفيق، وقالت:

"ها هو صديقنا يا حبيب العمر، الذي طالما شهد علينا ليال طويلة، وقد كان دوماً ينير لنا طريق السعادة، والذكريات الجميلة، هل تذكر يا حبيبي، عندما رافقنا طوال الليل، حتى عدنا سيراً على الأقدام، في أول لقاء لنا وسط حدائق وبساتين العنب والبرتقال الممتدة ؟ وكم كان رحيماً بنا، مؤنساً وحدتنا، عندما بزغ نوره في تلك الليلة حالكة الظلمة، على ضفاف ذاك النهر العظيم، وكأنه كان يرافقنا ليؤنس وحدتنا، وكم كان عطوفاً علينا، حينما كان يتسلل إلى فراشنا حسيساً من تلك النافذة، كي يواسينا في أوقات أحزاننا..

وها هو الليلة يا حبيبي، كعادته، يتسلل إلى غرفتنا، ويدنو منا بشدة، وبدا وكأنه يعانقنا، ويشدد من أزرنا، أراه يا رفيق العمر يدنو منك الآن بشدة، ويربت علي كتفيك، ويمسح على جبينك، متمتماً: ألا تحزن يا صديقي، فرفيقة عمرك ستظل بجانبي، وسأظل مؤنساً وحدتها، عندما تنتقل إلى ذاك المكان البعيد جداً، إنه الآن مثلنا يبكي وينتحب في صمت، ها هو يودعك يا حبيب عمري ورفيق دربي، ويستأذنك في حياء شديد، كي يمضي بي الآن إلى هناك، ها هو يهمس بأذني ويخبرني بأن هناك دوماً سيكون الأفضل، ويهديء من روعي مؤكداً لي أن هناك أيضاً سيكون ملتقانا الجديد، في يوم ما، حيث الحياة الأفضل والأجمل والأبقى..

ثم،، نامت طويلاً .. وغاب القمر ..

قلم رصاص

تدخل المعلمة الفصل فنفزع جميعاً لندائها "قيام" احتراماً لها وتقديراً، ولكن لم تقف سماح في هذه المرة _ فقد كانت غاضبة من المعلمة التي احتدت عليها بالأمس، عندما سألتها فلم تجب _ لذا نهرتها المعلمة، فبكت سماح بشدة، فأردت أن أطيب خاطرها، وأن أظهر لها ما أكنه من عاطفة تجاهها، لطالما حاولت ذلك مراراً ..

بعد انتهاء الدرس، دنوت منها، وربتت برفق على كتفها، وأهديتها قلماً رصاصا، كنت قد اشتريته من أجلها منذ حين، فتقبلته مني، ونظرت نحوي في مودة، مع ابتسامة بريئة ورقيقة.. فكانت البداية.

ومرت سنون المرحلة الابتدائية، في هدوء وصمت جميل، كانت عيناها تتلاقى مع عيناي كل صباح، وكأن شمس الحياة تشرق من عينيها، فتشع في جسدي النحيل طاقات، فتقمن أودي حتي نهاية اليوم .. وكانت في بداية كل عام، تأتني بالقلم الرصاص الذي أهديتها إياه، كي أكتب به إسمها على كشكول الدروس الخاص بها..ثمبعد ذلك، فرقتنا المرحلة الاعدادية فلم نعد نتقابل، ولم تعد تتلاقى أعيننا.

ومرت السنون، وتزوجت أنا من زميلتي في كلية الهندسة، ووهبنا الله ولداً وبنتاً، ومرت بنا الحياة.. وكنت أبحث دوماً عن زميلتي، صاحبة قلم الرصاص، دون جدوى .

وذات يوم حدثت مشادة مع زوجتي، وقد تألمت هى على إثرها كثيراً، ثم ازدادت تألماً بإهمالي لها بعد ذلك لعدة أيام.

وفي وقت ما، كنت في حالة من الفراغ العاطفي، فتذكرت زميلة الدراسة، صاحبة قلم الرصاص، وحاولت الإتصال بأحد الزملاء القدامى، عله يدلني عليها، فأخبرني بأنها قد تزوجت منذ عدة سنين، ولكنه لا يعرف مكان إقامتها، فقضيت ليلتي مهموماً..

وفي الصباح، كانت زوجتي تعد لنا الفطور، فدلفت إلى حيث تقف بغرفة الطعام، فتلاقت أعيننا، تحت شعاع شمس الصباح المشرقة، عبر النافذة ، ودون أن أدري، مددت يدي إلى جيب سترتي، وأخرجت منه قلماً رصاصا، كنت قد اشتريته منذ فترة، واهديته لزوجتي، فمدت يدها وأخذته في رضاء وحب وصفاء.. ومنذ ذلك اليوم، لم أعد أبحث عن زميلتي صاحبة قلم الرصاص، فقد وجدت من تستحق قلمي تعيش بجانبي، وتحت سقف بيتي، وتنير حياتي، دون أن أدري ..

أيها الأصدقاء:

ابحثوا في بيوتكم، عمن يستحقوا أقلامكم الرصاص، وكذا مشاعركم..

القريبون منا

غريب أمر هذه الحياة، فقد تلقي بنا في مفرق الطرق نحو أناس لم نكن نعرفهم من قبل، فنحبهم كثيراً، ونسعد بحضورهم إلى جانبنا، وفي بعدهم نشتاق إليهم، ثم نرجوهم كثيراً بالبقاء في حياتنا.. بيد أن من بين هؤلاء شخصاً واحدا، له بقلوبنا قدراً زائداً من المودة، وقد نحسبه من الأصدقاء، أو من الأحباء، أو من رفقاء الدرب، ذاك الشخص الذي يطمئن إليه القلب، ويصادق عليه العقل، وتطيب لقربه الجوارح. ورغم كل ذلك، نحاول أن نبتعد عنه، أو نخرجه من حياتنا، نحاول أن ننساه، فلا نستطيع فعل ذلك، ولا يمكننا نسيانه، فهو متغلغل في شغاف قلوبنا، وفي خلجات نفوسنا وفي لب عقولنا، ونتمنى ألا يبتعد بعيداً عنا، كما نتمنى ألا يقترب كثيراً منا، رغم علمنا يقيناً أن هذا الشخص ليس لنا، ولسنا له.

هؤلاء الأشخاص الذين يقتحمون علينا حياتنا بلا إذن مسبق أو موعد محدد، فيتملكون منا عواطفنا ومشاعرنا، ويستحوذون على عقولنا، ويسيطرون على قلوبنا؛ عليهم أن لا يستجيبوا لنا أبداً، عندما ندعوهم بالذهاب، وعليهم ألا يشفقوا علينا عندما نرجوهم بالبقاء، فقط عليهم العيش في سلام، بالقرب منا.

حديث الأماكن

في يوم ما، سوف نرحل عن هذا العالم، سوف لا تكون حياتنا في تلك الأماكن إلا مجرد ذكريات، بعضها يكون مؤلماً، وبعضها الآخر قد يكون سعيداً، وبمرور الوقت، سوف تنسى وتندثر تلك الذكريات، حيث لن يتذكرنا أو يذكرنا الآخرون، بيد أن تلك الأماكن التي مررنا بها، وشهدت بعض من ذكرياتنا، سوف تظل تحكي لأزمنة عديدة، قصة هذه اللقاءات، وكيف أن هناك حبيبان، في يوم ما جلسا بها، واختلسا بعضا من الوقت من حياتهما الصاخبة، بعيداً عن أعين وآذان الجميع، وأنهما كانا يتحدثان كثيراً، حتى أن بعض كلماتهم لم تكن مفهومة، فقط أرادا أن يتحدثا، كي لا ينتهي بهما الوقت، وكيف أن مشاعرهما كانت تلقائية وعفوية، دونما ترتيب أو تنظيم، إلا إنها كانت صادقة.

بيد أن تلك الأماكن، سوف تحزن كثيراً لهذا الفراق، ولكنها سوف تظل صامتة، ولن تذكر يوماً أن أحداً ممن جلس لديها، لم يكن صادقاً في مشاعره نحو الآخر، لن تحكي أن أحدهما كان يصطنع بعض الكلمات، ويزيف كثيراً من المشاعر، لن تحكي أن أحدهما كان يتلاعب بمشاعر الآخر، لقضاء بعض من الوقت الجميل، لن تحكي الأماكن كل ذلك، حتى تظل ذكرى هذا اللقاء عالقة في جانب الذكريات الجميلة، بعد فراق الأحباء، لن تحكي الأماكن؛ فقط لأنها أكثر صدقاً وأمانة، من كثير من البشر...

احسنوا النوايا، واصدقوا الأقوال والأفعال، فكلنا راحلون..

جمال الروح

تقف الأم في قلق وحيرة، تتابع كل الأعمال واللمسات الأخيرة لعرس الابنة الصغرى "أماني" فهنا سيتم وضع طاولة الطعام الكبرى، وهنا يتم زيادة مصادر إضافية أكثر للإضاءة، وهنا سوف يقف العروسان، كي يتناولا مشروب عصير المانجو الذي تفضله العروس، ثم تنادي الأم معد الطعام، وتشير إليه بما ترى، وتوجه أيضاً عامل الإضاءة، وتذهب وتجيء بلا توقف..

أثناء ذلك، تدعوها ابنتها الكبرى لتتناول طعام الإفطار، وأقراص الدواء الخاصة بها، فتجيبها الأم بأن تؤجل الطعام والدواء حتى تنهي ما تقوم به، وتكمل ما بدأته من أعمال، ثم يخبرها حفيدها بقدوم موكب العرس، فتقف مكانها في ثبات، ويهبط العروسان من السيارة، ويترجلا نحوها، فيقبلا جبينها، وتحتضنها العروس في تأثر شديد، لم يفصلهما سوى الابنة الكبرى، بتقديم مشروب المانجو، ثم تجلس العروس في منصتها، وتجلس الأم أمامها في المواجهة، حتى ينتهي العرس، وتزف العروس لمنزل الزوجية.

ثم تعود الام في حالة من التعب والإعياء الشديد، وتقف أمام صورة الزوج والد العروس، وتحدثه: هل أنت راض عني الآن، هل أنا أديت الأمانة التي تركتها في عنقي؟ ثم أخذت تبكي بشدة وحرقة، حتي تأثر بذلك الجميع، وكنت أنا من بينهم، بدعوة صديقي زوج الابنة الكبرى، فدنوت منه، وسألته عن هذه الحالة التي ألمت وأصابت أم العروس؛ فأجابني: بأنها ليست أم العروس، بل هي زوجة أبيها رحمه الله، وكانت لها بمثابة الأم، حتى أن بنات هذه السيدة ومنهم زوجتي، قد أصابتهن الغيرة، من هذه العروس، التي تفضلها أمهن عليهن، فكانت دهشتي عظيمة من هذا الأمر العجيب، والذي لايصدقه عقل.

أإلى هذا الحد يصل الوفاء والحب والرضاء، هل يمكن أن تكون ابنة الزوج في هذه المنزلة من الزوجة، التي تفوق منزلة بناتها منها ؟!!

نعم أيها السادة؛ قد يكون الجمال في الشكل والقول والفعل، أحياناً، ولكن دائماً وأبداً؛ يكون الجمال في المشاعر والطباع والروح ..

اللحظات الأخيرة..

بعدما أفاقت على فراش المرض، أشارت إلي كي أدنو منها، فجلست بجانبها، وأمسكت بيديها الباردتين بلطف ومودة، وقلت لها: حمدا لله على سلامتك يا حبيبتي، فتبسمت في رضاء وقالت بوهن بصوت خافت: بل الوداع يارفيق العمر، فلم أشأ الرحيل قبل وداعك، قلت لها: بل أنت بخير، وقد طمأننا الأطباء عليك، فتغلبت على آلامها وقالت: عليك ألاتهمل صحتك، وألاتجعل الحزن يملأ قلبك، واعتن بحياتك التي أهملتها حال مرضي، واعتن بأولادنا، فهم ضعافاً من بعدي، في حياة قست عليهم بعنف في صغرهم، بمرض أمهم ثم موتها.

اسطردت بذات الوهن: كلما ضاقت بك الحياة؛ عليك أن تتذكر الأوقات والأيام الجميلة التي عشناها معاً، ففاضت عيناي بالدموع، وتشبثت بيديها مقبلاً جبينها، ولم أستطع أن أنطق بكلمة واحدة، ووجدتها ترفع رأسي بين يديها وتقبلني، ثم تغمض عينيها في سلام إلى الأبد ..

في ذكرى مولده ...

بالأمس القريب، زار عالم انجليزي مصر، وعلم أنه سوف تقام أمسية عن السيرة النبوية، وذلك إبان وقت زيارته، فأخبر مضيفيه برغبته في حضور تلك الأمسية، وبالفعل حضر، وكان بجواره مترجم له، ثم تليت آيات من القرآن الكريم في بداية الحفل من سورة فاطر:

" أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ" (28) صدق الله العظيم

فسأل العالم في تعجب: هل هذا في قرآنكم؟! فآجابوه: نعم. فقال: إن هذا لمعرفة عميقة بعلوم النباتات وتنوعها، وعلوم طبقات الأرض، والتي لم تكن موجودة في الجزيرة العربية وقت حياة محمد، فكيف عرف بها؟! وكذلك بها معرفة بعلم الحيوان والإنسان، والتي لم يهتد إليها العلم الحديث، إلا بأجهزة دقيقة حديثة بعد مئات السنين من وفاة محمد، ثم يقر العالم الإنجليزي أن محمداً هذا لهو رسول من عند إله واحد، يعلم مافي السموات والأرض، ويعلم بعض من الماضي والحاضر والمستقبل، ويعلم أموراً من الغيب، ثم شهد العالم الإنجليزي: أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فصلاة وسلاماً عليك يا سيدي يا رسول الله، يا من بعثك الله هداية ورحمة للعالمين، فما أحوجنا عند الاحتفال بيوم مولدك إلى أن نحيي سنتك، ونسير على هديك، كي تستقيم حياتنا.

انتصار الذكريات

أراد الأب أن يقنع ابنته الجامعية بزواجه من أخرى، فاصطحبها وجلسا بحديقة المنزل، وما أن بدأ الحديث معها عن حالة والدتها المرضية، وقد استشعرت الابنة ما يدور برأس والدها، فبادرته قائلة: مازلت أذكر وقت طفولتي، وقد كانت والدتي تجلس بجانبك هنا علي ذات الأريكة التي نجلس عليها الآن، وكنت تضع إحدى يديك على كتفها والأخرى ترمي بها الكرة لي، وهناك فوق تلك الأرجوحة، كانت أمي تجلس وأنت تدفعها بقوة، فتصيح خائفة، فتوقف الأرجوحة، وتقبل رأسها في حنان ودفء، ثم تضحكان بصوت عال، وعلي تلك الطاولة الخشبية، كنا نتناول الفطور في يوم أجازتك، ونقضي كامل اليوم لعباً ولهوا وضحكا في تلك الحديقة، وهنا على هذه البوابة كانت تقف والدتي صباح كل يوم لتودعك إلي عملك، وتستقبلك عندها في المساء عند العودة، كانت تسعد لسعادتك وتحزن لحزنك وتقلق لقلقك.. وعندما مرضت كانت دوماً توصيني أن اهتم بك، ولم يحزنها إهمالك لها، وعدم الإهتمام بها، بل كانت تختلق لك دوماً الأعذار .. أرجوك يا والدي أن تهتم قليلاً بها، فهذا يرفع معنوياتها في محنتها.. ينهض الأب ويعدها بذلك، ويعدل عن الحديث الذي أراده مع ابنته، ويعدل عن قرار الزواج كذلك، وقرر الاهتمام بزوجته، مما أدى إلى تعافيها بعض الشيء ..

أيها الأزواج: لاتستقيم الحياة بحلوها أبداً دون مرها، ولن تسير دوماً على وتيرة واحدة، واعلموا أن لشريك حياتكم عليكم حق المودة والسكن والرحمة ..

قسوة الفراق..

في زيارتي الأخيرة له، وجدته يجلس كعادته كل يوم في شرفة شقته، التي تطل بجزء منها على نهر النيل بمدينة المنصورة، كان يحتسي قهوته غير المحلاة، في وقت ما قبل الغروب، ثم شرد قليلاً وأخذ يحكي لي قصته:

في ذات المكان منذ أربعين عاماً، كنت أجلس في ذات شرفة منزلنا، أحتسي قهوتي المحلاة جداً وقتذاك، ومرت أمام منزلنا فتاة في بداية العشرينيات من عمرها، كانت رفقة زميلة لها، وكانت تحتضن كشكول محاضراتها تنظر أمام قدميها، في طريقهما إلى كليتها، خفق لها قلبي، ثم سارعت لألحق بهما، وظللت أتتبع خطواتهما، حتى عرفت أنها تدرس بكلية الآداب، وكنت قد أنهيت دراستي بكلية الهندسة، في اليوم التالي كنت أقف على باب قاعة محاضراتها، حتى مرت من أمامي إلى القاعة، وكان قراري أن أتحدث إليها مباشرة.. وبدأت اللقاءات تتوالى بيننا، في الطرقات، والمدرجات، والشوارع، وحدائق الجامعة.

وفي نهاية العام الدراسي، كان الإتفاق على الخطبة، والتي استمرت لعامين بمباركة الأهل، حتى أنهت دراستها.. ثم تزوجنا بعد قصة حب عميقة، كانت حديث الأصدقاء.. ودارت الأيام.. ورزقنا بولد وبنت، وعملت هي بوظيفة إدارية بالجامعة، وأصبحت أنا صاحب أشهر المكاتب الهندسية بالمدينة، وكبر الابنان، والتحق الابن الأكبر بكلية الهندسة، والتحقت الابنة الصغرى بكلية الصيدلة، ثم أنهيا دراستيهما بتفوق، ثم تبدلت الأحوال سوءاً، ومرضت الزوجة الحبيبة مرضاً شديداً، صرعها بعد ثلاثة أعوام...

ومنذ وفاة زوجته، ظل صديقي في حالة من الاكتئاب والعزلة، يجلس في ذات الشرفة كل يوم، في وقت ما قبل الغروب، يعود بذاكرته إلى ذكرى اللقاء الأول، فيعيش أوقاتاً جميلة من الذكريات مع حبيبته، رفيقة العمر ..

منذ عدة أيام، تلقيت اتصالاً هاتفياً من ابنه المهندس أحمد يبلغني فيه برحيل صديقي، في ذات المكان، بشرفة منزله، وهو يحتسي فنجان قهوته غير المحلاة في وقت ما قبل الغروب..

قلوب ضعيفة..

ويستطرد صديقي:

في ليلة من ليالي الشتاء باردة الطقس، مع دقات التاسعة مساء، بإحدى المشفيات الكبرى، يوصد في وجهي باب غرفة العمليات، فتزداد دقات قلبي سرعة.. فهنا، خلف هذا الباب المغلق ترقد رفيقة عمري، والآن يبدأ الأطباء في فتح جزء بصدرها يؤدي نحو قلبها، ما أقساها تلك الأمور الجراحية، يكاد قلبي يتوقف عن العمل لمجرد التفكير فيها.

يبدأ عقلي في التفكير المتناقض، وتمر أمام عيني لحظات فارقة من شريط حياتنا الماضية، فها هي شريكة حياتي، لاحول لها ولا قوة، تسلم أمرها إلى أيدي الأطباء، تفعل بجسدها الضعيف ماتشاء.

يا إلهي ما عساي أن أفعل سوى الدعاء من أجلها، كيف أقوى على هذا الشعور الطاغي الذي يمر به الانسان بغير حول له ولا قوة؟! وراحت الذكريات الخالية تسيطر على تفكيري، فدار بخلدي شريط حياتنا:

في تلك الليلة المطيرة، كانت تلك الفتاة الصغيرة تقف من خلف زجاج نافذتها المقابلة لمنزلنا، كانت تنظر بانبهار نحو حبات المطر المتطايرة، والتي تهطل بغزارة، فتصطدم بقوة بزجاج نافذتها، وكنت أرقب حركاتها وسكناتها الفطرية، حتى بصرت بي، فأصابها الحياء، وتوارت بعيداً عن ناظري، إلا أنني لم أستطع النوم في تلك الليلة حتى بزغ نور الصباح، ترى، ما هذا الشعور الذي أصابني وقتذاك، وما تلك المشاعر التي سرت في عروقي، حتى جعلتني أعيش في حالة من الدفء، رغم هذا الطقس القارس شديد البرودة.

وفي الصباح، كان اللقاء بيننا، في الشارع المار بين منزلينا، وكان علي أن أغتنم الفرصة، فدنوت منها مبادراً بالتحية، فردت علي بصوت أكاد لا أسمعه، كأنه همس، وكانت البداية بيننا، ولم تطل كثيراً حتى تمت خطبتنا، ثم زواجنا، ثم رزقنا الله بولد وبنت، ثم راحت حلاوة تلك الحياة تطغى على مرارتها.

وتبدلت الأحوال، ذات ليلة مطيرة أيضاً، كليلتنا الأولى، تشعر حبيبتي بألم شديد جداً في الصدر، وبإجراء الفحوصات، يتبين وجود خلل بقلب حبيبتي، وتحتاج إلى إجراء جراحة عاجلة خطيرة جداً، وكان لابد منها، رغم أنها كانت تتردد في إجراء العملية الجراحية، إلا أنني لم أدع مجالاً للتفكير، وكان القرار على الفور بتحديد أقرب موعد لإجرائها، وقد تحدد لذلك ليلتنا هذه.

تدخل حبيبتي، مسلمة أمرها إلى ربها، في هدوء وسكينة، ورضاء بأمر الله، وأمسكت بيدي في حنان وسكون، ونظرت إلى عيني، فلمحت فيها الدموع، فتمتمت بكلمات هامسة لي، ولم أكد أسمعها أيضاً، كما في لقائنا الأول، فتذكرني بأن الله؛ وهو خالق القلوب ومقلبها قادر على إبرائها وشفائها.. ثم كانت آخر كلماتها لي قبل إجراء الجراحة: ألا تحزن يا رفيق العمر، فحبك الذي ملأ الله به قلبي، كاف بأن يحييني بقلبك، حتى بعد موتي، وانهمرت أعيننا بالدموع.. وبعد عدة ساعات، داخل غرفة العمليات، يخرج الجميع، ولم تخرج حبيبتي..

عن أكتوبر المجيد .... نتحدث:

في يوم السادس من اكتوبر، وفي تمام الساعة الثانية بعد الظهر، بدأت قواتنا المسلحة بشن عدة طلعات جوية، على العدو الصهيوني شرق القناة، وخرجت 222 طلعة جوية في نصف ساعه، فألحقت خسائر فادحة بالعدو، وبدأت المدافع في إلقاء القاذفات والدانات، بمعدل قاذفة في كل ثانية تقريباً، ثم جاء دور المهندسين العسكريين، بالتعامل مع الحصن المنيع خط بارليف، وتجربة أكثر من وسيلة، لتدمير أجزاء وممرات به، ومنها متفجر "الديناميت"، وأخيراً استقروا على الفكرة العبقرية للمقدم المسيحي: باقي زكي ياقوت، باستخدام ضخ المياه من القناة، وإنشاء ممرات بها لقوات المشاة والمدرعات، وتم إنشاء كباري لعبور القوات، وكان على الجانب الآخر هجوم سوري على العدو في الجولان، بمساعدة العراق، وتم أيضاً غلق مضيق باب المندب، بغواصات تمنع مرور إمدادات عسكرية لإسرائيل، بمساعدة السعودية والسودان والصومال واليمن، وتم إفقاد العدو توازنه في أول ست ساعات، واستمر القتال، وقد عبر القناة أكثر من ثلاثين ألف جندي من المشاة، وبدأت الزحف لمسافة خمسة عشرة كيلو بعمق سيناء، تحت مظلة المدفعية، وكان العدو قد أيقن بالهزيمة الساحقة، فاستغاث بأمريكا، التي بدأت تمده بجسر جوي من العتاد العسكري، ثم تدخلت لاستصدار قرارا من مجلس الأمن، بوقف إطلاق النار، واستجاب الطرفان بعد عشرين يوماً من القتال، وانتهت المعركة بنصر كاسح مستحق للقوات المصرية.

وتحقق نصر الكرامة المصرية، وتحققت الهزيمة للجيش الإسرائيلي، والذي قد ذاع صيته بأنه لايقهر، وكانت حرب أكتوبر ملحمة، تدرس حتى الآن بالمعاهد العسكرية الدولية، بما حوت من عنصر قتالي غير عادي، هو الجندي المصري الذي لم يخش الموت، ولم يخف لحظة على حياته، فكان النصر في نهار العاشر من رمضان، وماتلاه من أيام الملحمة الكبرى.

تحية لقواتنا المسلحة، التي أعادت لمصر والعرب كرامتهم،، وأعادت الأرض وحمت العرض، وأعادت العدو إلى مكانه خائباً ذليلاً .

تحية إلى القائد الذي أعطى قرار الحرب، في وقته المناسب، بذكائه السياسي، وحسه العسكري،

تحية للمواطن المصري، الذي وقف بجانب قواته المسلحة، على جميع المستويات حتى النصر.

تحية إلى الأشقاء العرب، الذين ساعدوا وساندوا، دونما مصلحة أو تردد أو تفكير، سوى إرساء لروح الأخوة في العروبة وقت الشدائد.

تحية فخر وإعزاز وتقدير واحترام لكل الشهداء والمصابين وذويهم، فقد كانت حياتهم وأرواحهم الغالية ثمناً للنصر والعزة والكرامة، التي نحيا على ذكراها حتى اليوم ،،،

وتحيا مصرنا الغالية، حرة مستقلة مستقرة، آمنة من كل عدو، أو حاقد، أو غادر، أو فاسد، أو ظالم، أو خائن..

رسالة من الجبهة..

حبيبة قلبي وفؤادي، ونور عيني وسهادي، ورفيقة دربي وحياتي.

زوجتي الغالية وفاء:

أعلم يا حبيبتي، أن هذه الرسالة، قد تكون الأخيرة بيننا، فأنا أكتبها في يوم الثامن من أكتوبر، الثاني عشر من رمضان، وأنا مرابض وقوفا في أحد الخنادق، بالضفة الشرقية وقت الافطار.

فعندما استدعيت للخدمة بالقوات المسلحة، منذ أربعة أشهر، علمت وقتها أنه قد لايجمعنا لقاء آخر في هذه الحياة، وأنا الآن لا أتمنى من الله سوى الشهادة، وأن يحيطكم تعالى بعنايته ورعايته من بعدي، أنت وفلذة كبدنا مريم حبيبة الروح والفؤاد .

الآن علمت يا حبيبتي حكمة الله في أن أصر والدي على زواجي منك مبكراً، فقد شاء تعالى أن أعيش بجوارك أسعد أيام الحياة، وأن أحيا في كنفك أجمل الأوقات، وأن أملي عيني منك، ومن حبيبة الروح مريم ما شئت، قبل نداء الواجب، وأحمد الله أن وهبني قرة العين والفؤاد سنوات ثلاث كانت جنة الحياة..

حبيبتي وفاء: لا تحزني إن جاءك خبر استشهادي، فوالله إن الموت في سبيل الله، والدفاع عن الأرض والوطن؛ لهما الحياة، وما سواهما هو الموت والفناء، فلم يعد للحياة لذة بعدما رأيت أشلاء زملائي تتطاير أمامي، وقد عاهدنا الله جميعاً؛ ألا نعود إلا بعد الثأر واستعادة الكرامة، ولو على أشلاء جثثنا.

حبيبتي وفاء: علمي ابنتنا الغالية مريم أن أباها كان يحبها بجنون، وأنه أيضا كان يعشق ذرات تراب الوطن الغالي، وأنني لو خيرت بين عودتي لأحضانك وفلذة كبدي، وبين التقدم نحو رصاص العدو الغاشم؛ لما ترددت لحظة حتى أنال الشهادة في سبيل الله، ذودا عن تراب الوطن الطاهر، من دنس العدو الغاشم.

حبيبتي وفاء: علمي أبناءك في المدارس، أن هناك رجالاً ضحوا بأبنائهم، وزوجاتهم، ودمائهم، وأرواحهم، دفاعاً عن ذرات تراب الأرض الطاهرة، وتذكري يا حبيبتي: مع تحية العلم كل يوم في طابور الصباح، أن زوجك ورفاقه، كانوا قد نالوا الشهادة من أجل تلك اللحظات الغالية من تاريخ الأمة، لحظات يفخر فيها الجميع بالنصر على الأعداء .

تلك كانت الرسالة الأخيرة، للجندي أحمد الراوي إلى زوجته السيدة وفاء العتباني، مديرة مدرسة الشهداء الاعدادية، حملها إليها آنذاك أحد زملائه، وروتها لي ابنته الدكتورة مريم أحمد الراوي .

لنعلم أيها السادة: أن تراب هذا الوطن، قد روته الدماء الذكية، لرجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه، فنالوا الشهادة، من أجل استعادة الأرض والعزة والكرامة.

استعيدوا الأماكن والذكريات الجميلة:

لقد فاض بي الكيل من تصرفاتها غير المسؤولة، دوماً كانت ترى كل تصرفاتي غير سوية، دائماً وبغير داع كان يحدث الشقاق بيننا بسبب نقدها اللاذع لي، واليوم كان الحوار بيننا قد وصل الى حد التجاوز غير اللائق بين كل زوجين، وكان علي أن أترك المنزل إلى غير رجعة، لا أعلم إلى أي وجهة سيكون المسير، وإن كان قراري هو أن أرحل إلى مكان بعيد.

هبطت من منزلي مسرعاً نحو سيارتي، تلاحقني ابنتي من خلفي، تحاول أن تثنيني عن قراري، دون جدوي، وتحركت إلي حيث لا أعلم، قادتني سيارتي الى مدينة الاسكندرية المفضلة لنا، واستسلمت لنفسي الغاضبة حتي وصلت إلى هناك، وهناك؛ حيث الشاطيء الساحر وقت الغروب، ورائحة وصوت البحر الهائج الغاضب مثلي، ونسائم العليل تهفهف بقوة على وجهي العابس، جلست على صخرة صماء كبيرة، حيث المكان المفضل لنا منذ سنوات، ورحت أركن الى خلدي وخاطري في حالة استرخاء تام.

بعد وقت قصير هدأ موج البحر، دارت بخلدي ذكريات جميلة في ذات المكان، هنا كنا نفترش الرمال، نجلس لساعات بلا ملل، هنا كنا نتبادل الأحلام والأمنيات بلا كلل، وهنا كنا نشكو لموج البحر قسوة الأهل والحياة علينا، وهنا كنا نتعاهد بألا نستسلم لواقع الفراق الحانق المرير الذي يهدد علاقتنا بالفشل، حتى إذا ما تعبنا من صوت البحر ولفح أشعة الشمس، ولطم الهواء بوجهينا، فكنا نركن الى ذات الصخرة الكبيرة التي أركن إليها الآن، وما هي إلا لحظات قليلة وتهدأ الطبيعة، فيستحيل صوت الموج الهائج الى لحن جميل، ويتبدل لفح أشعة الشمس الحارقة الى لوحة من لوحات الصيف الجميل، ويتحول لطم الهواء الساخن إلى نسائم العليل، فنخلد إلى النعاس على وقع تلك اللوحة الفنية الطبيعية الخلابة، ثم نفيق وقد ذهب عنا كل العناء العالق برؤوسنا، ونعزم على المضي قدماً نحو تحقيق أحلامنا الجميلة .

هنا؛ دار بخاطري كيف كنا نتصارع مع الطبيعة من أجل تحقيق أحلامنا، كيف وقفنا في وجه كل من حاول أن يفشل علاقتنا الجميلة، كيف تعاهدنا على مواجهة أي عقبات أو صعاب تحيط بنا، وجدتني أنهض من مكاني وأستقل سيارتي، ثم أعود متجهاً نحو منزلي، مهاتفاً زوجتي معتذراً لها عما بدر مني، فتقبلت برضاء ومودة داعية لي بالعودة سالماً...

أيها الأزواج؛ عند العقبات والخلافات، عليكم أن تستعيدوا وتسترجعوا الذكريات والأماكن الجميلة، كي تستعيدوا حياتكم الهادئة ..

كشكول الحساب..

كنا في كل صباح نخرج من بيوتنا، فنلتقي على أول الممر الطويل، الذي كان يؤدي إلى أطراف القرية، حيث مدرستنا الابتدائية، وكنا بغير عمد، نجد أيدينا تتشابك في صمت وهدوء، وكنا دوماً نتبادل الأسئلة والإجابات، خاصة فيما يخص مسائل الحساب، حتى نصل إلى بوابة المدرسة ..

ومرت بنا السنون، وقد كبر داخلنا الطفل الصغير، وقد التحقت بكلية الطب، والتحقت هي بكلية التجارة، وكنا نلتقي بعد ذلك في أوقات متباعدة، ثم ذهب كل منا إلى طريقه، وعملت بإحدى المشفيات، وأعددت عيادة طبية خاصة في المدينة، وتزوج كل منا وعاش حياته، ثم ندرت اللقاءات بيننا، إلا صدفة، في مناسبات القرية، فكنا إذا التقينا، ينظر كل منا إلى الآخر ببسمة مودة، نستعيد بها ذكريات الماضي، ثم نمضي في هدوء، ومرت عدة سنوات، لم نعد نلتقي، فقد انشغلت بعملي في المدينة.

واليوم، أثناء مروري على القسم الذي أترأسه بالمشفى، فوجئت بعدد من الأطباء، يحيطون بحالة مرضية، فاقتربت منهم وسألتهم، فأخبروني بإنها حالة حرجة جداً، أنهكها المرض العضال، فلم تعد تدري بالحياة من حولها، دنوت منها كي أتفحص الحالة، فكانت الصدمة لي، إنها رفيقة الصغر، لم أتمالك نفسي، وجدتني أجلس بجوارها على الفراش، فتفرق الأطباء من حولها وتركوني وحدي مع حالتي، فأمسكت بيديها الضعيفتين،

ودون أن اشعر، وجدتني أربت على جبينها، وقد انهمرت الدموع من عيني، ودار بخلدي شريط الذكريات الماضية، ووجدتني أسألها، وأعلم أنها لن تجيبني، كم من الأعوام يا عزيزتي مرت علينا، ولم نجب بعد على مسالة الحساب؟! فتحركت مقلتاها نحوي في تودد، وابتسمت في صمت، وقالت: خمسين عاماً يا صديقي، فنظرت إليها باسما فرحاً بإفاقتها، إلا أنها سرعان ما راحت مرة أخرى في حالة من فقدان الوعي..

ترى، ماهذا القدر، الذي يجعلنا نبكي كثيراً في لحظات قصيرة من حياتنا، دونما استعداد، ودونما علم بحقيقة مشاعرنا نحو البعض، سوى إنها علاقة ليس لها وصفا بعد، علاقة قلبية روحية أبدية، ليست محددة بمكان أو زمان..

نظرة كبرياء

وهل كانت تلك اللحظات التي التقت فيها أعيننا، في مساء ذلك اليوم الخالد في قلبي وقت أن هبت علينا نسائم الهواء العليل، هل كانت سوى أنذاراً شديد اللهجة، لقلب ذاك الرجل الهاديء الجامد في عواطفه ومشاعره، ثم كان ذلك بداية لعهد جديد مؤلم لهذا القلب الضعيف المصفد بالأغلال لأزمنة بعيدة.

ما زلت أذكر يا صغيرتي تلك النظرة الساحرة، التي انبعثت من عينيك دون قصد أو عمد والتي كانت بمثابة سهمين موجهين بكل دقة وعمق، أحدهما نحو خلجات روحي، فأصابتها بداء الوله العضال، والثانية كانت نحو شغاف قلبي، فأصابته بداء العشق المميت، ولم يفقا من تلك الآلام المبرحة، إلا بذكرى ذلك اللقاء العابر القصير.

لم أعد أعبأ كثيراً، بتلك النظرات والهمسات من حولي، والتي تلقي علي بتهم العشق والوله والصبابة، ولم تعد تعنيني كثيراً كلمات اللوم والعتاب من الآخرين، ولم يعد يخفق ذاك القلب، إلا لتلك النظرات الساحرة، من تلكما العينين الشاهقتين، ذواتى الغرور والكبرياء حتى عنان السماء.

وهل لمثلك إلا أن تتعالى في زهو وفخر وغرور، وهل لمثلي إلا أن يقيم بكامل الاختيار أو بلا إرادة في محراب سحر عينيك، وأن يصلي بكل تواضع في خلوة العشق الدافيء بين جنبيك، وأن يدور بكل خشوع حول معبد الروح الخاضع لصك غفرانك.

فرفقا يا مليكتي، بقلب ذاب من فرط الرجاء على بابك، وعطفاً بعقل لم يعد يملك سوى بقايا ذاكرة، بدأت وانتهت في يوم لقاك، ورفقاً بروح هامت عشقاً في سمائك جبراً وبلا إرادة أو اختيار، ثم كوني كما أنت في نقاء غرورك، وفي صفاء كبريائك.

الهجرة النبوية الشريفة..

تربص به الكثيرون، من الأهل قبل غيرهم، لاقى كثيراً من أنواع العذاب، وهموا جميعاً ليفتكوا به، حتى ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فأتاه القرار الصعب على النفس؛ بترك الأرض التي ولد وعاش وارتبط بها، ليخرج من بلدته الأقرب إلى قلبه، إلى أخرى لا يعلم ما يخبيء له قدر الله فيها ..

لم يصر على البقاء بأرضه التي ينتمي إليها ويحبها، حتى لا يعرض نفسه وأصحابه وتابعيه للخطر، فقد كان الهدف أسمى، وكانت الرسالة أنبل وكانت الغاية أعظم من كل التضحيات، لذا استسلم واستجاب لأمر الله ..

بدأ وصحبه بوضع الخطة نحو الرحيل، ولم يترك الأمر دون دراسة لكل الظروف، أو تقدير لأي معوقات، حتى أنه درس طبيعة الأرض والبشر، في البلد التي عزم الرحيل إليها، ثم توكل على الله، وسلك الطريق الأصعب نحو الهدف المنشود، ولما وصل إلى الأرض المراد الوصول إليها، فرح به أهلها، وساعدوه وآمنوا برسالته، ومن هناك استجمع قواه، وأعاد بناء جيشه وقوته وعتاده، ثم استعد للعودة إلى بلدته وأرضه التي أجبر على الرحيل عنها، وكان قرار العودة والفتح والنصر، حتى أنه ساد العالم منها، وأرسى قواعد الدولة الاسلامية، وغير تاريخ البشرية، وبلغ الرسالة السماوية، رسالة الأمن والأمان والسلام، والإسلام..

تلكم كانت الهجرة النبوية من مكة، الأرض المكرمة، إلى المدينة الأرض المباركة، تلك الهجرة التي غيرت مجرى التاريخ، وعبرت بها رسالة الحق، من ظلام الجهل إلى نور الإيمان..

في ذكرى الهجرة النبوية، ما أحوجنا جميعاً إلى هديه وسنته، وما أحوج كل منا لأن يهجر نفسه الضالة العاصية، إلى نفسه التوابة المؤمنة كي نصل إلى نور الإيمان المبين. صلاة وسلاماً عليك يا سيدي يا رسول الله ..

التفاعل مع الحياة

ذات يوم وصمني أحدهم بأنني شخص متطرف المشاعر، قد أكون كذلك بالفعل كما تراني يا صديقي، كثيراً ما أجد نفسي شخصاً غريباً، لا أتصرف كما الآخرين، ولا أتصرف كثيراً كهؤلاء البؤساء الذين يضيعون حياتهم في أمور لا تسمن ولا تغني من جوع، هؤلاء الذين يعيشون في حالة من التبلد العاطفي، فتراهم لا يكترثون كثيراً بغيرهم عند نزول المصائب بهم أو حتى عند الفرح، أراني لم أعش حد الرفاهة في المشاعر والأحاسيس، لم أعد أستطيع الانحراف بمشاعري نحو التطرف الجامد غير الفاعل مع الأحداث والأشخاص.

أخبرني صديقي هذا ذات يوم بأنه ظل يعمل لسنوات في إحدى الدول العربية الشقيقة، بعيداً عن أسرته ومجتمعه، وعندما عاد مضطراً إلى إليهم، لم يستطع العيش بينهم، بل إنه وجد نفسه بلا إرادة يبتعد عنهم لفترات طويلة، ويتجنب معرفة أخبارهم، وأصبحت العلاقة بينهم مجرد علاقة مادية مجردة من المشاعر والعواطف، لم يستطع أن يربت يوماً على كتف ابنه الشاب حال إصابته بكسر في قدمه، ولم يتمكن من ضم ابنته إلى صدره عند نجاحها، كما لم يشأ تقبيل زوجته أمام أبنائه أو حتى في غيابهم.. تلك المشاعر التي تبلدت وتجمدت بفعل الغياب والغربة، كانت الثمن الباهظ غير العادل لسنوات عجاف، تخلفت عنها مشاعر من القسوة والجفاف العاطفي.

بيد أن لكل منا ما يبرر تصرفاته، فكل يبحث عن حجة بالغة ينجو بها من ذاك الشعور المرير، الذي يسيطر عليه، ذاك الشعور العاتب علينا، اللائم لنا فيجعلنا في قفص الاتهام الضميري مدى الحياة، ذاك الشعور بالعجز أمام مشكلة بسيطة تصيب أحد الأبناء، تجعلنا نهرب في خسة ونذالة نحو عالم آخر لا نسأل فيه ولا نعاتب ولا نلام، عالم متجمد المشاعر، متبلد الأحاسيس، بعيداً عن الدفء الأسري.

لذا، لم أستطع يوماً أن أكون مثل هؤلاء الأشخاص، فلم استطع أن أنجو بنفسي من تحمل مسؤولية الحياة، لنفسي وللآخرين، حتى أن أحدهم ذات يوم وصمني بالمنافق الذاتي، فهو يرى أنني أنافق نفسي، كي أظهر أمامها بمظهر المناضل والمحارب بغير خصم أو عدو، في زمن لا حرب فيه، وأن الحياة لا تستحق النضال أو الخصام أو الجهاد، في سبيل النفس أو الآخرين.

قد يكون صديقي على حق في حالة التطرف المشاعري التي تسيطر علي، ولكنها الحياة يا صديقي، التي لاقيمة لها دون العناء والنضال، لا من أجل النفس فقط، بل من أجل الغير والآخرين.

لذة التضحية ..

لم تدع للتفكير فرصة، واتخذت قرارها في لحظة، قالت: لن أسمح بأن يمنحك غيري قطعة لتسكن بجوار قلبك، فأنا وحدي الأحق بأن يسكن بداخلك جزء من كبدي، الذي ذاب مع قلبي عشقاً فيك، فقد كانت دوماً روحانا واحدة، فلم لا تتآلف أجسادنا معاً حتى الموت؟!

ظل يحكي في زهو وفخر، ما فعلته شريكة حياته: حينما قرر الأطباء بأن حالته تستدعي زراع جزء من كبد، وكيف كان قرارها هذا له بمثابة طوق النجاة، وشريان الحياة الأخير، وكيف إنها كانت على يقين تام، أن لا أحداً آخر غيرها من البشر، يمكنه التبرع له، أو يتوافق معه طبياً، وقد كان ..

ظل صديقي يحكي، وشريكة حياته ترقد بجواره بذات غرفته بالمستشفى، وهي تنظر إليه في رضاء ومودة، ولم تفارق البسمة شفتيها لحظة، وعندما فرغ من حديثه، نظرت إليه في وهن شديد، وقالت: كيف لا أفعل، وقد منحتني من قبل الحياة، كيف وأنت تسري بدفء في دمي، وينبض برفق بك قلبي، كيف لي أن أسعد بالحياة وأنت بجواري تتألم، لقد حباني الله بك، ولا يمكنني العيش بدونك، فوالله لو كان موتي هو البديل لحياتك، لرضيت به بلا تردد أو تفكير، فأنت لا تشعر يا حبيبي بتلك اللذة التي أشعر بها الآن، والله لو لم أعش بعدها لحظة لكفتني..
ثم بدأت الكلمات تخرج من فيها بصعوبة وألم شديد، ثم تغمض عينيها، وغابت عن الوعي، وما زال ثغرها باسما...

<u>(لأول مرة بالعامية)</u>

راجع نفسك..

لما نزعل أوي من واحد صحبنا أو عزيز علينا، ونلاقي نفسنا مخنوقين أوي من موقف ما، وممكن الموضوع يتطور بينا لحد الانفعال، وكمان ممكن يزيد عن الحد لدرجة الغضب الشديد، وأحيانا منقدرش نمنع نفسنا من الاحتداد عليه أو حتى الغلط فيه، وبعد شوية لما نقعد مع نفسنا ونهدى كدا، نلاقي نفسنا أخطأنا في تقدير الموقف، واتسرعنا جدا في الحكم الوقتي على الأمور، وبعدين نستغرب جداً من موقفنا غير المنصف مع الصديق دا، وممكن نندم كتير على اللي عملناه معاه، ونحاول نعتذر له ونتمنى إنه يسامحنا، وهنا بنلاقي نفسنا أدام حاجة من الاتنين، إما إن يكون صديقنا دا أكتر نضجاً مننا فيقدر الموقف، ويقبل عذرنا واعتذارنا له، وينتهي الموقف بسلام، وإما إنه يكون على نفس مستوانا من ضيق التفكير، فيرفض الاعتذار والأعذار، وممكن يزيد الموقف صعوبة لو اتدخل شياطين الإنس والجن بينا، وساعتها نلاقي عداوة لا حد لها نشأت بينا، كل دا لمجرد سوء تقدير لموقف بسيط، أو التسرع في الحكم على الأشياء مع الاصدقاء والأعزاء، من غير ما نتأكد أو نتبين الحقيقة.

أنا أفتكر مرة من زمن طويل، ظنيت ظن سيء في احد الأصدقاء، بإيهام من صديق لي، وأخدت موقف صارم وحازم منه ، وقررت إني معتش أتكلم معاه أبدا، بدون حتى ما أسأله.. ومرت عدة سنوات وكل ما الصديق يحاول التحدث أو التقرب لي أنفر منه وابتعد عنه، المهم حاول يسأل من بعيد عن سبب غضبي منه وبعدي عنه، وما وصلش لنتيجة، فقرر إنه يواجهني، ولقيته جالي مكان شغلي وأصر يقابلني، المهم انا رفضت وبشدة إني أقابله، فرجع متأثر جداً، وبعد سنتين عرفت انه مرض جداً، وتدخل أحد الأصدقاء في الموضوع، وقالي زور صديقنا فلان لأنه تعبان جداً، ومحجوز في المستشفى من شهر، المهم جيت على نفسي ورحت أزوره، ومجرد ما دخلت عليه غرفته راح في حالة من البكاء الشديد جدا، والنحيب بصوت مسموع، قربت منه وقعدت جمبه عالسرير، دور وشه عني، وهو مازال بيبكي، المهم، قالي مش هكلمك

ولا أبصلك إلا لما اعرف انت مقاطعني وزعلان مني من سنين ليه، أنا عملت أيه؟ قلتله مش وقته وعفا الله عما سلف، أصر على معرفة سبب غضبي وزعلي منه، فقلت له حصل منك كذا وكذا، أقسم لي بالله وبشدة مرضه بأن ما حصل منه دا، وإن من أبلغني بذلك قد أبلغه هو بأكثر من ذلك عني، إلا إنه قام بطرده من منزله، وعشان يأكد لي كلامه، أجرى مكالمه هاتفيه بأحد الأشخاص، اللي كان موجود وقتها، وفتح مكبر الصوت، وأكد هذا الشخص ما قاله، في اللحظة دي أنا حسيت اني صغير جداً أدام صديقي، اللي هجرته سنوات طوال بسبب وشاية شخص بينا، من غير حتى ما اتأكد من الأمر، ولم أتمالك نفسي، وقمت قبلت رأسه، وانهمرت الدموع من عيوننا دون أن ننطق بكلمة واحدة.

عشان كدا يا ريت ما نتسرعش في قراراتنا ومواقفنا، يا ريت نتأكد ونتحقق جدا ونتبين الصواب، قبل ما ناخد قرارات ممكن نندم عليها كتير بعد كدا.

ثورة مجيدة لست ناصرياً ولاعسكرياً ..

لا يهم إن كانت ثورة أو حركة أو انقلاباً على الحكم الفاسد المطلق، بدأت بتمرد مشروع لضباط الجيش الأحرار، فقضت على الحكم الملكي واستبداد وفساد الملك فاطاحت به، وأقيمت الجمهورية، ووقعت بالتبعية إتفاقية الجلاء مع الإنجليز، بعد احتلال دام أكثر من سبعين عام، ثم توالت حركات التحرر العربية والافريقية، وعقدت مصر اتحادات عربية وافريقية، وكذا اتفاقات دولية مع يوغسلافيا والهند وروسيا عام 1955(تعاون عربي دولي)، وعلى إثرها وقعت اتفاقية التسلح لجيش مصر، التي غيرت السياسة التسليحية الدولية(بناء جيش قوي)، وبدأت الريادة المصرية عربياً وأفريقيا، وأممت قناة السويس، وأنشأ السد العالي(نهضة وإصلاح اقتصادي)، ثم تم القضاء على الطبقية والاقطاع، والتحق ابن الفلاح والعامل والفقير بالجامعة بفضل مجانية التعليم وأصبحوا قضاة ووزراء(عدالة اجتماعية) وأصدر قانون الإصلاح الزراعى وتملك الفلاح الفقير الأرض، وأنشات الحركات العمالية التي أعطت العامل حقه (القضاء على الاقطاع)، وساعدت مصر في حركات تحرر الشقيقات العربية والصديقات الأفريقية، حتى حصلت على حق تقرير المصير (القضاء على الاستعمار) وتمتعت مصر بالاستقلال السياسي والرخاء الاقتصادي والعدل الاجتماعي.. وبرغم كل تلك الايجابيات، ظهر للثورة _في وقتها وحتى الآن_معارضون ومنتقدون، وصموها بالانقلاب العسكري، لتمكين حكم العسكر، ثم أصبح كل ذلك في ذمة التاريخ، لأن الهدف كان أسمى وأنقى، ولزمه التضحية من الجميع.

تلكم؛ ماسميت بداية انقلاباً ثم حركة، ثم بعد سنوات أصبحت تسمى ثورة، وكانت ثورة مجيدة، قادها الجيش وباركها الشعب ..

أيها السادة: يجب ألا ننظر للأمور على إطلاقها، وألا نحكم عليها في بدايتها، لأن التاريخ وحده هو الذي يحدد ويسمى ويثمن ويقيم كل الأحداث، وليس شخصاً أو فئة واحدة من الشعب، قد تضار وقتيا بما يحدث، لكن في تاريخ الشعوب تظل الأهداف السامية هي الأكبر من أي فئة ومن أي جهة.

يجب أيها السادة أن تتحد كل الفئات من الشعب، وكل الطوائف وكل الايدولوجيات، وأن يتنازل الجميع عن بعض طموحاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كي ننهض ببلدنا وسط أطماع خارجية لن ترحمنا عند التفكك والتناحر، يجب أن نستقي ونسترجع روح ثورتنا على الملكيه والانجليز والإقطاع والطبقيه والاستبداد التي لم تقم ولم تنجح الا بارادة الشعب قبل الجيش ...

يجب أيها السادة أن نكون على يقين أن الشعوب إذا أرادت فعلت ماتريد وشمخت، وإذا تخاذلت سقطت وهانت على الجميع، فلا تنتظروا صلاح الدين لتحرير القدس، ولا تنتظروا حاكماً يقود جيشا وشعباً ليحرر فلسطين، إنما هي الشعوب _ وحدها_إذا أرادت واتحدت ونبذت الخلافات والخصومات لحررت الاقصى والقدس وفلسطين وكل بلداننا العربية بعون الله .. حمى الله مصرنا وكل أمتنا العربية من كل طامع وفاسد وحاقد وجاهل..
"والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون" صدق الله العظيم.

لقاء لم يتم..

على صوت زقزقة العصافير، ونسمات العليل، التي تتطاير معها وبها أوراق الأشجار، فتحدث خرشفات كانها صوت موسيقى الصباح المنعشة؛ استيقظت في حالة من الجد النشاط، بدلت ملابسي وارتديت ثياباً أنيقة جداً، قميص أبيض ناصع، وربطة عنق حمراء اللون، وبذلتي السوداء التي لا أرتديها إلا في المناسبات المهمة جداً، وحذاء أسود لامع كنت قد ابتعته من أرقى محلات الأحذية، ليبدو متمماً للأناقة، ثم قمت بهندام شعري في أفضل أوضاعة، وتعطرت بعطري الفرنسي المفضل..

استقللت سيارتي، ثم رحت في حالة من التفكير العقلي والشرود الذهني، فها هي فتاتي الجميلة، سوف ألقاها في هذا العرس الكبير، نعم، سوف نلتقي وجهاً لوجه، سوف نتحدث مباشرة بلا وسيط، وبلا ضجيج، بلا حجة أفتعلها كي أتحدث إليها، قد نتناول مشروباً طبيعياً، أو قد نجلس معاً نحتسي فنجانين من القهوة، يا له من لقاء،أراه فوق العادة، سوف نتبادل بعض الأحاديث غير المعنونة، وغير المعلومة، فقط مجرد أحاديث في أي مجال، قد أسألها عن حالة الطقس اليوم، أو حتى عن أنواع الطعام المفضل لديها، أو أجمل الأغاني التي تستمع إليها، أو أفضل الكتب التي تقرأ فيها، وقد نتناقش حتى عن الحالة الاقتصادية غير المستقرة في البلاد، لا لا، قد لا نتحدث في شيء ما، قد نجلس في حالة من الصمت، يكفينا فقط مجرد تلاقي النظرات، وتوارد الخواطر، لا يهم نوع الحديث، بل قد لا يهم الحديث ذاته، ما يهمني فقط هو مجرد اللقاء.

وصلت مبكراً إلى المكان المحدد للقاء، فعلي أن أكون في انتظارها، فلا أود أن أضيع وقتاً لا أراها فيه، ودلفت في لهفة إلى حيث المكان المعد للقاء الضيوف، هنا قد أجلس مع فتاتي، قد نكون في هذا الركن البعيد، قد تكون في انتظاري بالداخل، لا، ليست هنا، وليست هناك، أراها لم تأت بعد، ليست في تلك القاعة العامة المملوءة بالأشخاص، الكل يحيني في توقير، الكل يسلم علي بلهفة، الكل يتحدث معي في مودة وتودد، لكنني لا أرى أي من هؤلاء الأشخاص ممن يتحدثون معي، لأنني لم أر فتاتي، فتبددت كل الأحلام، وكل الأماني، وذابت كل الترتيبات، فلسبب ما تخلفت فتاتي عن الحضور..

متمرد على الأعراف

تلك الحكايات القديمة، التي كانت تحكى لنا من الأجداد، وكنا نقعد طويلاً أمام ذاك الجد الأكبر، كي يقص علينا بعضاً من قصص الماضي البعيد.. وكان لدينا العديد من التساؤلات التي تدور في خلدنا، ولكن لم نكن نجرأ أن نبوح بها، فماذا كان عساه أن يفعل ذاك الأمير العاشق، كي يحظى بموافقة والده الملك، على زواجه من إبنة الصياد الفقير؟! وهل كان عليه أن يخالف أوامر والده الملك، أم كان عليه أن يخالف رغبات قلبه الكسير؟ وكان الجد يسقينا تعاليما كانت قد رسخت في دمائهم؛ بأن الحب ما هو إلا إثم كبير، وأن العشق كله وبعضه حرام حرام حرام..

تلك الحكايات التي توارثناها من قديم الأزل، وخطت في قلوبنا جروحاً مؤلمة، مؤداها ألا حب وألا عشق، وأنه على المرء أن يدمل جراحه بيده لا بيد الاخرين، وأن عليه أن يجعل عقله وتفكيره دائماً يسيطران على قلبه وفؤاده، لينجو من دوامة العشق والغرام..

ما هذا الهراء؟! ماهذه الافتراءات على ناموس الكون؟! وماهذا الانكسار والذل والهوان؟! وما هذا الخضوع لقيم وتعاليم تخالف ناموس الحياة، وهوى البشر، وإرادة القدر؟!

أعترف الآن يا حبيبتي: أني قد كفرت بكل قيم وتعاليم وحكايات الأجداد.. فكيف لي أن أشق عن قلبي الضعيف، فأنتزعك منه دون شفقة أو رحمة؟! الآن، الآن فقط قد علمت كم أحتاج أن أموت ألف موتة؛ كي أشعر بطعم تلك الحياة معك، كم أحتاج أن أعيش هوان وذل الخضوع؛ كي أكون خادماً بمحراب عشقك، كم أحتاج أن أرى مرارة البعد؛ كي أعود لقربك..

لكن هيهات.. فقد مضت الأوقات، ولم تعد تجدي كل الاحتياجات، فقد فاتت كل الفرص التي تؤدي إليك، وانقطعت كل السبل والطرق عنك، وانطفات كل نجوم الهداية نحوك..

فقد سرت في عروقنا منذ المهد دماء الحكايات السحيقة من الاجداد، وضاعت منا لذة العشق والحب والغرام...

مشاعر نحو الشرق..

في يوم ما، قال لي أحدهم: إن أعراض العشق الفاضحة، لا تظهر إلا في أعين العاشقين، تلك العلامات، التي تجعلك دوماً كعاشق في حالة من التصالح مع ذلات النفس، وكذا التسامح مع فحش الآخرين.

وقتذاك تهكمت عليه ساخراً، بأن تلك العلامات لا يصاب بها سوى الضعفاء من البشر، وأصحاب القلوب الواهنة، والعقول الخربة الماجنة، ولا تلم بالأقوياء عقلاً وفكراً ..

ثم.. فجأة ودون مقدمات، وجدتني أعيش تلك الأعراض، فقد بدأت عيناي تغترب كثيراً نحو الشرق، وبدا عقلي يموج بسحابات من الوله والعشق المزمن غير الحميد.

ما زلت أذكر يوم أن ربتت على يدي وقالت لي_لما أبديت قلقاً_ عليك ألا تعبأ بمن حولي، فهم واهمون، ومن هم أمام لذة العشق، الذي ألعقه من رحيق شفتيك، وما أشتمه من عطر وسحر نظرات عينيك، هم فقط يتوقون للحظات من فيض أنت سطرته في فؤادي، يتلذذون ويتمتعون بلحظات، رأوا فيها مني فقط ما يراه العوام، أمثالهم، أما أنت كصاحب صكوك العشق الأعظم في حياتي فقد ملكت بداخلي قلباً، لم يستطع أن يحتوي سواك ..

الآن، يا ملهمة العشق النقي، لم تعد تمر ساعات عمري، دون أن أتطهر بدمع الصبابة من عينيك، وأنوي لصلاة الحب في محراب قلبك، وأمارس طقوس العشق في معبد روحك، كي أعيش لحظات القرب في ذكريات معيتك..

تلكم_يا صديقي_ هي قواعد العشق والغرام، التي تعلمتها من سحر عينيها، وقتما التقى بغير قصد شغاف قلبينا ، وتآلفت بغير عمد خلجات روحينا، وتعانقت بإصرار نظرات عينينا، عندما تأهب قرص الشمس الأحمر الداكن للغروب بحبيبتي نحو الشرق..

علامات العشق الإلهي..

والله لقد كانت ثوان معدودة، قضيتها في قربك، دنوت من معيتك، في رحاب جلالك، لم أتوقع فيها غير لقائك، لقاء المحب بالحبيب، لم تبصر عيناي سواك، ولم يخطر ببالي إلاك، ولم يتوقف عقلي عن التفكير فيك؛ وحدك، ولم ينبض قلبي إلا مسبحاً كثيراً؛ بحمدك.

لم أيأس من رحمتك وعفوك، نعم أنا العبد الذي طالما أذنب؛ طويلاً، أنا العبد الذي عصاك كثيراً، أنا العبد الذي ابتعد وانحرف عن دربك قليلاً، ولكن عزائي؛ أني دوماً كنت أعود إليك، أنوب إليك، أتوب إليك، وليشفع لي؛ أني لم أشرك يوماً في وحدتك، وليغفر لي أني دوماً أعود إليك، وليغفر لي أني أحبك.

في تلك اللحظة، وأنا لاحول لي ولا قوة إلا بك، وأنا خاضع لقضائك، وخاشع لقدرك، وقانع بكتابك، وذليل لعزتك، وضعيف لقدرتك.

في تلك اللحظة، يغمرني لطفك، ويفيض علي عفوك، وتحيط بي رحمتك، وينفذ في قضاءك، ويشملني قدرك، ويجري علي كتابك، وألعق من جودك وكرمك، وأنجو مما ألم بي بسترك.

فيارب، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضاء، ولك الحمد في السراء والضراء، ولك الحمد على كل حال، ولا حول ولا قوة إلا بك ..

<u>ومضات رمضانية</u>

،، بيان حب ،،

كنت في زيارة لصديق على فراش المرض، وقد علمت من أبنائه أنه قد امتنع عن تناول الطعام وكذا الدواء، حتى ساءت حالته النفسية والبدنية، جلست بجانبه، ودنوت منه، وسألته عن مرضه، فقص علي حاله بأسى وألم، فسألته أن يدعو لي، فابتسم قائلاً: من منا يدعو للآخر؟ فأجبته أنت، لأنك الآن في مكانة أفضل مني وأقرب إلى الله، فتعجب من قولي، فقلت له ياصديقي إذا أحب الله قوماً ابتلاهم، وأن أشد من ابتلي هم الأنبياء، وأن الله ابتلاك بهذا المرض العضال لأنه يحبك، ويريد أن يقربك منه أكثر، وقد قال رسولنا الكريم " إن أهل العافية يوم القيامة، عندما يوزع الثواب على أهل الابتلاء، يودون لو أن جلودهم في الدنيا كانت قد قرضت بالمقارض" أو كما قال صلى الله عليه وسلم، وقلت له ياصديقي إن الله تعالى قد وهبك كثيراً من النعم، ما قد يحسدك بعض الناس عليها كالأولاد الصالحون، والمال الوفير، والزوجة الصالحة، فرأيت وجهه قد بدأ يتهلل فرحاً وبشاشة، ثم قد طلب الطعام والشراب والدواء ،،

،، أيها الأصدقاء،، إن الابتلاء بالمرض قد يكون مؤلماً، ولكنه رحمة من الله بنا، وعلينا أن نصبر، واعلموا أن نعم الله الكثيرة علينا، قد تنسينا أن الله تعالى عندما يبتلينا بالمرض، فتلك رحمة لنا وهو بيان حب من الله ..

هم الفائزون لا نحن (شهداء بئر العبد)

لن أكون مثل الباقين، لن أصرخ حنقاً وغضباً من أجلهم، لن أبكي حزناً عليهم، بل إنني أسعد كثيراً بهاته الأرواح الطاهرة، والأنفس النقية، التي لم تكترث كثيراً بتلك الحياة التي نحرص نحن عليها، فلم تنتظر مثلنا قدوم الموت إليها في سباتها، فيأخذهم بغتة وهم لايشعرون، بل إن تلك الأرواح النقية كانت أكثر إيجابية منا، فقد قهرت ألم ومرارة الموت، وكانت هي الأكثر حرصاً على الحياة منا، أقصد بذلك؛ تلك الحياة الأبدية، تلك التي لاظلم فيها ولا غدر ولا خيانة، تلك التي يسود فيها العدل والإيثار والحب، تلك التي لا يستطيع أحد أن ينظر بطمع بما في يد غيره، ولا يفكر في إزهاق روح طاهرة، من أجل عرض زائل، في عالم آخر أنقى وأطهر من عالمنا الزائف الغادر، فلنا البؤس والشقاء، بما نسعى إليه من عرض زائل، في دنيا فانية، وهنيئاً لهم، بما يستحقونه من حياة نقية ناعمة رغدة خالدة في جنات ونهر، هم الفائزون لا نحن.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"..

<u>ومضات رمضانية</u>

أغلق عليك بابك

كنت أجلس بمنزلي، المطل على الشارع العام، وكان الطقس حاراً، فخففت بعض الشيء من ثيابي، وغفوت قليلاً على أريكة خلف الباب الرئيسي، وكنت أسمع أصوات المارة من الناس بالخارج، من خلف الباب، فمنهم من كنت أعرفه جيداً ويعرفني، ومنهم غير ذلك، وخطر ببالي أمر ما، فسألت نفسي: ماذا لو أن باب منزلي كان مفتوحاً على مصراعيه، ولم أغلقه؟

الجواب بغير تفكير: أن كل المارة سيروني ويرون منزلي من الداخل، بالحالة التي لا أرغب أن يراني عليها الناس .

هكذا أنت، فنفسك الأمارة بالسوء هي منزلك، وستر الله هو باب منزلك، فاحرص دائما ألا تجاهر بالمعصية، كي تظل مشمولاً بستر الله عليك، حتى تعدل عنها، واعلم يقيناً أن الله لن يفضحك، إلا إذا كنت تصر أنت على فضح نفسك، بالتمادي في المعصية أو الجهر بها، واعلم أن منزلك المغلق بابه، لن يعلم أو يرى مابداخله أي شخص، مالم تفتحه بيديك.

اللهم إنا لا نعصيك إلا بجهل منا، غير مبارزين لك بالمعاصي، ونطمع في عفوك ورحمتك وسترك.

اللهم استرنا فوق الأرض وتحت الأرض ويوم العرض عليك .

<u>ومضات رمضانية</u>

باقي من الزمن أقل من ساعة..

كنا في الصغر، إبان قيامنا بتأدية امتحانات الشهادات العامة، كان المعلم المراقب يمر علينا، في لجان الامتحانات، ويردد علينا منبهاً بحزم تلك العبارة: " باقي من الزمن ساعة " فكان منا من لا يكترث ولا يهتم لسماعها، لأنه كان على استعداد من قبل لأداء الامتحان، وقد أبلى حسناً بورقة الإجابة، ولكن منا من كان يرتبك بشدة، وترتعد فرائصه، فالزمن المتبقي لم يعد كافياً، وقد غافله الوقت ومر سريعاً، ولم يبل حسناً بعد بورقة الإجابة، كونه لم يكن مستعداً من قبل لأداء الامتحان، فقد أضاع وقت الدراسة هباء في اللهو واللعب، وقتها يتمنى لو يمتد به الوقت قليلاً، ولكن لا جدوى.

الآن، ماذا لو علمت أنت، أن الزمن المتبقي لك في تلك الحياة ساعة، أو اقل من الساعة، ماذا لو جاءك ملك الموت ونبه عليك، أن الباقي لك من الزمن ساعة أو أكثر أو أقل من الساعة، ولم تكن قد استعددت جيداً لآداء الامتحان وللحساب، كونك افنيت حياتك هباء في اللهو واللعب، فماذا عساك فاعل في تلك اللحظة؟ وقتها، سوف تتمنى أن يمتد بك الوقت ولو للحظات قليلة، ولكن لا جدوى.

نعم؛ فالزمن المتبقي لك ولي، قد يكون ساعة، أو أقل من الساعة، لذا، علينا أن نستعد من الآن، قبل أن ينتهي بنا الوقت، وتسحب منا أوراق الإجابة، دون أن نبلي حسناً ..

الوفاء الأبدي

تنهدت الأرملة الشابة الجميلة طويلاً، قبل أن تجيب على طلب صديقي برغبته في الزواج بها، مقررة بأنها متزوجة، تعجبت وصديقي من ردها، لعلمنا بوفاة زوجها، وقبل أن ننطق بكلمة واحدة، بادرتنا قائلة:

نعم يا سيدي، لقد مات زوجي منذ سنوات، ولكنه مازال يعيش معي، ينبض به قلبي، يفكر به عقلي، تسكن روحه الطاهرة جسدي.

واستطردت: مازلت أذكر كيف حارب الدنيا ليتزوجني، ومازلت أذكر يوم زفافنا، عندما أصر أن يحملني بين يديه، من بيت والدي إلى بيته عندما هطل المطر، ومازلت أذكر يوم أنجبنا ابنتنا الكبرى، فحملها وطاف بها بيوت أهله وأهلي، من شدة الفرح، مازلت أذكر عندما كان يضيق بنا الحال، فأعرض عليه مصاغي الذهبي، فيرفض بشدة، قائلاً: لن أتصرف فيه مادمت حياً، مازلت أذكر عندما مرضت عدة أيام، كيف كان يبكي بكاءاً شديداً ولم يفارقني وقتها لحظة، فكان يقوم بأعمال المنزل حتى تعافيت، ومازلت أذكر عندما ألم به المرض العضال، كيف كان يواسيني، ويخفف عني هموم الدنيا، وهو يتألم بشدة .

وأضافت: لم يكن فقط زوجاً، بل كان أباً وأخاً وابناً وصديقاً ورفيقاً، لم أشعر يوماً بفراقه، لأنه دائماً معي، أراه ويراني، أشاوره في كل أمور حياتي، فكيف لي أن أقبل بغيره رفيقاً لدربي، هو الآن يجلس بجواري باسماً في وجهي، متعجباً من قولي، أراه في وجه ابنتي، وفي غرفة معيشتي، أراه حتى في أحلامي.

معذرة سيدي، فزوجي لم يمت، مازال يسكن قلبي، ينير عقلي، يؤنس روحي، بعد أن فارق جسدي، وأدعو الله ليل نهار ألا يفارقني، حتى ألقاه في حياة أفضل، وظلت تتحدث عنه، حتى نهضت وانصرفت أنا وصديقي من أمامها، دون أن تشعر بنا..

نعم يا سادة، قد لا نراها على حق، ولكنه الوفاء الذي يجعل صاحبه دوماً راضياً بقضاء الله، وقانعاً بقدره، سعيداً بما قسمه له في تلك الحياة ...

على مائدة الإفطار

لم أعد أتقبل منه الأعذار، فقد ضقت به ذرعاً، فهو دائم الغضب، وثائر الأعصاب بحق وبغير حق، في كل مناسبة يعلو صوته بغير داع، لا يهتم بمشاعر من حوله، تحملته كثيراً عله يعود إلى صوابه وأخلاقه التي عهدته عليها، وتزوجته من أجلها، لذا، فقد قررت أن أغادر المنزل، آملة أن تهدأ الأمور بيننا يوماً ما، أو يذهب كل منا لحال سبيله.

هكذا أسررت أمرها في نفسها، وحزمت حقيبتها، ولملمت كل حاجاتها، إلا أنها أرجأت الأمر لما بعد تناول طعام الإفطار، من أجل الأبناء، فاليوم أول أيام الشهر الكريم.

عاد الزوج من عمله، ودلف إلى غرفتة ليبدل ثيابه، فبصر بالحقيبة الكبرى بحالتها، فعرف وفهم ما يدور بخلد زوجته وماقررته، وأنها تنو الارتحال، فقد زادت بينهما المشاحنات والمشادات في الفترة الأخيرة، وعاد بذاكرته قليلاً، وأيقن تماماً أن زوجته كانت دوماً على حق، وأنه كان عصبياً بلا داع.

رفع الآذان، وجلس الجميع إلى مائدة الإفطار، وبعد الانتهاء من تناوله، بادر الزوج أفراد الأسرة قائلاً :

_كم تحملت أمكم معي الكثير، وكم أخطأت في حقها، وأنا في بداية هذا الشهر الكريم أطلب منها الصفح والعفو والتسامح.

_الزوجة عائدة عما انتوت: ومن أنا حتى تطلب مني الصفح والعفو، فكم كنت دوماً قمراً ينير دربي، وشمساً تدفىء عمري، ونجماً يهتدي به عقلي وروحي، كم منحتني الحب والسعادة والمودة والحنان، كيف لا أرضى أو أعفو لمن وهبني حب الحياة.

أيها الأزواج :

اعفوا واصفحوا والقوا بخلافاتكم وراء ظهوركم، واجعلوا من هذه الأيام المباركة، بداية لعهد جديد من السكينة والمودة والرحمة،

فوالله، لا نعلم من منا سيدركه رمضان قادم..

قصة هدف محمد صلاح.

في الثواني الأخيرة من المباراة، بعدما مني مرماه بهدف من الفريق المنافس، فيتبدد الأمل والحلم الكبير لدى أبناء الشعب الطيب، ويسقط حزناً هذا اللاعب النحيف على الأرض، ويصاب الملايين بالذهول، فيبكي البعض، ويصرخ البعض الآخر، ويسقط البعض مغشياً عليه من هول الصدمة، ولم يعد يجدي التمني أو التشجيع أو حتى التفاؤل.

في لحظات سقوطه على الأرض، يدور حديث بين الشاب بين الله، يقول له الإله: سل تعطى، فأنا قريب جداً منك يا فتي، فيقول الفتى: لم يعد هناك وقت لتنفيذ ما يتمناه هذا الشعب على يدي، فسوف يطلق الحكم صفارة النهاية، بمجرد ركل الكرة، فيجيب الرب: أنا ملك الزمان والمكان يا فتى، فيقول الشاب: لا أمل، فيجيب الرب: إنهض يافتى وأحسن الظن بي، واعمل صالحاً، فينهض الشاب ويعمل جاهداً محفزا زملائه على بذل الجهد، ويمتد الوقت إلى ماشاء الله، ويحتسب الحكم ركنة جزاء، يا له من اختبار قاس للفتي النحيف، أهي هدية أم عقاب له، فيمسك الفتي بالكرة، ثم يدور حديثاً آخر بينه وبين الله، ولكن هذه المرة عبر الكرة، فيهمس فيها: لن تخذليني، فتجيب الكره ومايدريك، فيرد الفتى عليها بثقة: إنه وعد الله لي، فترد الكرة: كيف ذلك، فيجيب الفتى: قال ربي: " أجيب دعوة الداع إذا دعان" وقد دعوته، فترد الكرة: الكل يدعوه، فيجيب الفتي: ولكني أحسن الظن بالله، بأنه لن يخذلني، وقد وعدنا تعالي أنه عند حسن ظن عبده به، فترد الكرة: إذاً، أقدم

ولا تتردد، وافعل ما عليك فعله، فإن الله سيسدد عنك، فيغمض الفتى عينيه، في حديث أخير مع الله، ثم يسدد، وتنخلع قلوب الملايين مع قدميه، فتهوى الكرة في الشباك، فترد القلوب إلى الصدور، وتعود الروح إلى الجميع، بتحقق أجمل الأمنيات، وحلم طال انتظاره، ويسعد الملايين بقدم هذا الفتي القريب من الله، فيصنع السعاده للجميع في رضاء وصمت.

يظن الكثيرون أيضاً، أنهم قريبون من الله، وقد يدعونه كثيراً، ولكنهم لا يحسنون الظن به، ولا يفعلون ما هو واجب عليهم فعله، لذا، تبوء أمانيهم بالفشل ..

إفعلوا ما يجب عليكم فعله، وأحسنوا الظن بالله، ثم توكلوا عليه، ستتحقق كل أمانيكم ..

المجد للشهداء

وقف الأمير في حنو خاطباً في شباب الجماعة:

- من منكم يا رفاق يتطلع إلى الشهادة في سبيل الله والجماعة ؟
- كل الشباب: نحن يا أميرنا فداء للجماعة.
- الأمير محفزاً: ومن منكم يا أبناء يهفو إلى الجنة ونعيمها الدائم؟
- كل الشباب: نحن يا سيدي.
- الأمير مشجعا: ومن منكم يا شباب يتطلع إلى الحور العين في الجنان؟
- الشباب ذاتهم: نحن يا شيخنا.
- الأمير مؤكداً: ومن منكم يا أبنائي سيذهب إلى قتال أعداء الله وأعداء الجماعة من الكفار ؟
- بعض الشباب: أليس منهم مسلمين يا أميرنا؟
- الأمير بغضب: ليسو مسلمين ما داموا أعداء لنا فنحن فقط أولياء الله، ونسعى لنصرة دين الله، وإقامة الخلافة الإسلامية، وعليكم فقط السمع والطاعة.
- الشباب بخضوع: سمعاً وطاعة يا اميرنا.
- الأمير بزهو وتفاخر: بارك الله فيكم، فأنتم من اختارهم الله لينعموا بالشهادة والجنة وحور العين، علي بركة الله، أعدوا لهم ما استطعتم من قوة وسلاح، وقاتلوا عدو الله وعدونا.
- أحد الشباب: ألن يرافقنا قادة الجماعة في هذا الجهاد يا اميرنا؟!
- إذهبوا وحدكم فأنتم لها، وقد اخترتم الحور العين والجنان، ونحن والقادة من خلفاء الله هنا قاعدون، فقد جئنا من بلادنا لنتولي أسركم بالرعاية، وندير شئوون الجماعة.
- الشباب منصرفون بحماس: الله اكبر.

- الأمير لرفاقه من القادة ضاحكاً: أحضروا لنا نساءهم كي نسري عنهم، فقد اختاروا هم الجنة والحور العين، وتركوا لنا الدنيا ونساءهم لننعم بهم.

وهناك يستعد شباب آخرون، لمواجهة أعداء الله والوطن، أحدهم يصلي ركعتين لله، والآخر يقرأ آي القرآن، وثالث يدعو الله، وفي أحد الأركان يجلس الضابط الشاب "محمد" بعد ان فرغ من قراءة بعض آيات القرآن الكريم، والذي اتم حفظه منذ الصغر على يد والداه وشيخه، ثم يتحدث عبر الهاتف مع ابنته الصغيرة مريم التي بادرته:

- اشتقت إليك يا أبي، فلم ارك منذ شهرين.
- وأنا كذلك يا مريم، سوف أحضر قريباً لنفطر معا أول أيام شهر رمضان الكريم.
- سوف أنتظرك على الإفطار فلا تتأخر.
- إن شاء، أطيعي والدتك يا مريم.
- جدتي تود التحدث إليك، هي معك.
- اشتقنا إليك يا ولدي، فأنت الابن الأوحد لنا، متي ستعود لنراك؟
- إدع لي يا امي.
- في رعاية الله وأمنه يا ولدي.

يلتقي الفريقان في ساحة القتال، ويصوب شباب الجماعة نحو الضابط الشاب رصاصات الغدر، ثم يسمعون الصيحات:

- لقد استشهد المقدم "محمد" برصاصات الغدروالإرهاب.
- أحد شباب الجماعة: من قتلناه يدعى "محمد" إذاً هو مسلم، وليس كافراً، كما زعم الأمير.

- شاب آخر: بل هو كافر ما دام الأمير قال ذلك.

ويستمرون في القتل بلا رحمة ولا هوادة..

"وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ"

صدق الله العظيم

قل علي الدنيا السلام.

- عندما تتوارى كل التعاليم الدينية خلف صوت الباطل والجهل؛ فقل على الدنيا السلام.
- عندما تسقط كل القيم الإنسانية، أمام التعنت والغباء؛ فقل على الدنيا السلام.
- عندما تموت مشاعر المروءة كمداً، وترحل قيم النخوة والشهامة خنقاً؛ فقل على الدنيا السلام.
- عندما تنبعث صيحات الجهل، وتعلو نداءات الباطل بغير حق؛ فقل على الدنيا السلام.
- عندما تذهب كل قيم الحق والخير والجمال بغير رجعة، غير مأسوف عليها؛ فقل علي الدنيا السلام.
- عندما جاء "كورونا" لم يصب البشر فقط بالخوف والهلع، بل أصاب العقول بالجهل، وأصاب القلوب بالقسوة؛ لذا قل علي الدنيا السلام.

عندما يعترض أهل الريف _المفترض فيهم النخوة والشهامة أن تدفن الطبيبة التي وقفت لتدفع عنهم الوباء، وسقطت شهيدة الواجب؛ فقل علي الدنيا السلام.

- عندما يتظاهر ويثور أهل الريف، ليس ضد ظلم أو طغيان أو جور، بل ضد تعاليم الدين والشرع، والقيم الإنسانية، ومباديء المروءة والأخلاق، فقل علي الدنيا السلام.
- لقد جاء فيروس "كرونا" ليكشف ليس فقط عن ضعفنا الإيماني، وجهلنا الإنساني، بل ليكشف عن سوءاتنا وخساتنا، التي توارت لأزمنة عديدة، خلف مظاهر بالية ووجوه فانية، فذهبت بمجيئه مشاعر المروءة بغير رجعة، ورحلت مع قدومه قيم الخير النبيلة غير مأسوف عليها، وغادرت قلوبنا كل مشاعر الرحمة والعطف والمودة والسكينة والنخوة والإنسانية.

لذا، قل علي الدنيا السلام.

إحيوها بنبل الفرسان

في مشهد من فيلم تيتانيك(مع تحفظنا على بعض المشاهد) للأمريكي جيمس كاميرون، استماتت "روز"(كيت كونسليت)لتحرر حبيبها "جاك (ليوناردو ديكابريو)، ورفضت أن تتركه يواجه مصيره، ولو أودى ذلك بحياتها، وحررته من قيده الحديدي قبل ان تغمره المياه، ثم ناضلا معاً كي ينجيا من الغرق، حتى وصل بها إلى مركب النجاة على السفينة، ووقف جاك على حافة السفينة، وطلب منها أن تنجو بنفسها ليؤثرها على نفسه، إلا إنها للمرة الثانية، تقفز إلى السفينة لتبقى معه، رافضة أن تتركه يواجه مصيره، رغم علمها أن ذلك يعرضها للموت بلا ريب، ليواجها معاً صراعاً عنيفاً مع القدر، فوق سفينة الموت، وبالفعل، ينجوان من الغرق مع السفينة بمياه المحيط، ليعثرا على جسم عائم، لا يسع إلا واحد منهما، فيؤثرها "جاك" للمرة الثانية عن نفسه، ويظلا يصارعان الموت من أجل الحياة، حتى ينفذ القدر، ويموت "جاك" متجمداً من شدة برودة المياه، وتحيا من بعده "روز" لعشرات السنين.

نعم، كان من المؤكد أن قدر "جاك"هو الموت، وأن قدر "روز" هو الحياة، ولكن، ماذا لو كان قرار "روز" في المرتين، أن تنجو بنفسها، ماذا لو تركت "جاك" الذي لم تعرفه او ترتبط به، سوى سويعات معدودة، ماذا لو تركته وحده يواجه مصيره ؟

لو فعلت "روز" ذلك، لندمت طوال حياتها، فقد فعلت ما لا يجعلها تندم يوماً في الحياة من بعده، فعلت "روز" ما يجعلها تعيش معه أوقاتاً أطول، ولو كانا يصارعان الموت فيها، فعلت ما يجعلها تحيا على ذكريات جميلة، مع من تحب، ولو لم تدم سوى ساعات قليله، فعلت ما يجعل حبيبها يموت في كنفها، وبجوارها، وليس كمداً بعيدا عنها.

لا تركنوا إلي الموت في ذل وخضوع، لا تتخلوا عن أحبائكم في قهر وخنوع، دافعوا عن مشاعركم في شجاعة، واجهوا الموت ببسالة، فلن تنقص أعماركم لحظة، فقط احيوها بثبات على المبدأ، وبشرف المحاربين، وبنبل الفرسان المقاتلين.

لا تطرقوا الغرف المغلقة

في مشهد من فيلم: أنا لا أكذب ولكني أتجمل، رائعة إحسان عبدالقدوس، يقف الشاب المجتهد إبراهيم (أحمد زكي) أمام زميلته التي أحبها خيرية (آثار الحكيم)، ويخبرها بأنه لم يكن يكذب عليها بشأن حياته وأسرته، وإنما كان الأمر مجرد تجميل وتزين، كما أنها تضع بعض مستحضرات االتجميل على وجهها كي تتجمل وتتزين لحياته، ورغم ما بينهما من حب، إلا إنها لم تستطع أن تتأقلم مع ظروفه التي اطلعت عليها بدون استعداد منه، وتفرقا.

في كثير من الأحيان، يحمل كل منا سراً، يضعه في غرفة مغلقة من غرف حياته، وقد يتعلق هذا السر بأسرته، أو بعمله، أو بمشاعره، تلك الغرفة المغلقة في حياة كل منا، لا ينبغي للآخرين الدلوف إليها، أو الإطلاع على ما بها من أسرار، تلك الغرف المغلقة هي ملك خالص فقط لأصحابها، فإذا حاول أحد طرق أبوابها والدلوف إليها، فلن تستقيم الحياة، سواء لأصحاب الغرف أو لمن اطلع عليها، ولن يتقبل كل منهما الآخر بعد ذلك.

فقط علينا، إن لم نستطع إلتماس الأعذار لمن نحب، وتقبل خصوصياتهم، فعلينا احترام ما يخبئونه عن أنظارنا، داخل غرفهم المغلقة، حتى يأذنوا لنا طواعية بذلك، في الوقت الذي يحددونه، كي تستقيم الحياة.

استبشروا خيراً، مع ذكرى الإسراء والمعراج.

عندما تتسبب في حزن عزيز لديك، فتحاول أن تعوضه عن ذلك، والتسرية عنه وإسعاده، سواء بجائزة أو هدية أو رحلة إلى مكان جميل، يحصل فيه على راحة نفسية، وبعض الهدايا والجوائز، كي تخرجه من حالته السيئة، فيسعد كثيراً بذلك، وتهدأ نفسه، فيعلم أن الشدائد دوماً تزول..

هكذا _ولله المثل الأعلى_كانت الجائزة الكبرى من قبل رب السماء والأرض، لرسوله الكريم صلي الله عليه وسلم، فعندما أحاط به الحزن الشديد بموت عمه، الذي كان سنداً له، ضد أهل الكفر، وكذا موت زوجته أمنا السيدة خديجة، التي كانت نعم الزوج والمؤنس له، وضاق به الكثيرون ممن حوله، ولفظته قريش، ورماه أطفال الطائف بالحجارة، ولقي كثيراً من العذاب والهوان والتكذيب، وضاقت به الارض بما رحبت..

لم يفقد رسولنا الكريم ثقته بالله لحظة، وراح يدعوه عز وجل، بغك الكرب، وزوال الغم والهم والحزن، وكانت الجائزة والهدية، برحلة الإسراء والمعراج، ليسري بها العلي القدير عن رسوله الكريم، ويكون في استقباله كل من في الكون، من أنبياء وملائكة، تكريماً وتعظيماً لرسول الانسانية، ليعود منها بهدايا وجوائز من السماء السابعة، عند سدرة المنتهى، إلى أهل الأرض جميعاً، أهمها تلك حدوث تلك المعجزة الكبرى، وفرض الصلاة، وبتلك الرحلة يعم الفرح والسرور، ويأتي نصر الله وفتحه، على رسوله الكريم ومن تبعه إلى يوم الدين..

لا تقلقوا كثيراً، ولا تفزعوا طويلاً، من تلك الشدة التي نمر بها، واعلموا أن وعد الله حق، وأن مع العسر يسراً، ومع الشدة رخاء، ومع الخوف أمناً، فقط علينا أن نحسن الظن بالله العظيم...

رحماك يا الله..

رحماك يا الله، الآن فهمنا الدرس، الآن فقط علمنا المغزى، الآن فقط وعينا الأمر، وأيقنا بلا ريب أن هذا الفيروس ما هو إلا جند صغير من جنودك، ولأنه جند من جنودك، فقد جاء إلينا لينشر بيننا العدل والمساواة حتى في الخوف والهلع والفزع.

رحماك يا الله، فقد علمنا المغزى، ألم يجعل هذا الفيروس كل من على الأرض من أمم ودول وكيانات، في موقف واحد، يفكرون في وقت واحد في أمر واحد، ألم يخضع له كل الأغنياء والفقراء، السلاطين والعبيد، الكيانات العظمى والصغرى، ألم يجبر كل من على وجه الأرض، باختلاف مذاهبهم على اللجوء إلى الله وحده، في وقت أذن الله فيه بغلق كل دور العبادة، حتى لا يتآلى أحد على الله، أو يتعالى أحد على الآخرين، فالكل سواء.

رحماك يا الله فهمنا الدرس، فهل دار بخلدنا يوماً، أن تنتفض البشرية هلعاً وفزعاً، في وقت واحد وفي كل مكان، لا فرق بين دول غنية أو فقيرة، لا فرق بين دول متقدمة أو متأخرة، لافرق بين دول كبرى أوصغرى، لا فرق بين دول عظمى أوضعيفة، لافرق بين دول إسلامية أو مسيحية أو يهودية أو بوذية أو حتى بلا إله.

رحماك يا الله، فقد وعينا الأمر، فهل دار بخلدنا يوماً أن يقف القوي بجوار الضعيف، والغني فاحش الغنى بجوار الفقير مدقع الفقر، ومالك الطائرات بجوار مالك الدراجة، وصاحب الفنادق والمطاعم بجوار من يفترش الشارع جوعاً، عالم الذرة بجوار الجاهل، الطبيب بجوار المريض.

رحماك يا الله، فقد أفقنا من غفوتنا، هل دار بخلدنا يوماً، أن تقف فتيات غير مسلمات، كاسيات شبه عاريات، فتصلين خلف المسلمين في خشوع وخضوع، في ميدان عام، في إحدى الدول غير الاسلامية التي كانت تعادي الإسلام والمسلمين، وكانت تمنع حتي رفع الآذان في المساجد، بل تضطهد المسلمين في كل مكان على أرضها.

رحماك يا الله، لقد كانت رسالة السماء إلى الأرض قوية واضحة لا ريب فيها، أنك يا الله ملك الملوك، ومالك الملك، وقاهر السلاطين والملوك والزعماء، ومذل الأغنياء والعظماء والأقوياء والعلماء، ومسود العدل في ربوع الأرض بلا استثناء.

رحماك يا الله، لقد كانت رسالة السماء إلى الأرض شديدة، قوية، واضحة، جلية، بأنه:

"ليس لها من دون الله كاشفة"

اللهم اكشف عنا البلاء والوباء

في يوم الأم

تاهت عني كل الكلمات الجميلة، ضاعت مني كل المعاني النبيلة، ذابت الأماني والأحلام والآمال، وماتت شهيدة، توقفت عن العمل عقارب كل الساعات السعيدة .

كانت دوماً تصنع السعادة لمن حولها، فتبعث نسائم الحب والخير والجمال، بلا تفرقة على الجميع، فهنا تنشر دلائل الود، وهنا ترسل آيات الحب، وهناك تبعث ملامح الدفء، لم تتوقف يوماً رغم أحزانها وآلامها عن إسعاد الآخرين، ورغم خوفها من غدر الزمان، كانت دوماً تمدنا بالقوة والأمان .

وفي يوم ما، توقفت نبضات ودقات قلبها عن العمل، فتوقفت حزنا معها ذقذقة العصافير على الأشجار، وانطفات شجناً كل نجوم السماء، وغابت من أجلها شمس الحياة عن الإشراق، وتوقفت معها كل قلوب المحبين والعاشقين والحالمين عن النبضات، وماتت معها كل المعاني الجميلة، والأماني النبيلة، فقد ماتت صانعة الحب، ماتت مانحة السعادة، ماتت واهبة الفرح والسرور . ماتت أمي ...

الكذب الجميل ..

دنوت من بائعة الخضار، بعد الشراء وسألتها: كيف حالك يا أختاه؟

فأجابت: الحمد لله بخير وفي أحسن حال، ولا ينقصنا أي شيء.

فاقترب مني ابنها الغلام، الذي لم يتعد عمره العاشرة، وقال: يا عماه أمي تكذب عليك، فصاحت فيه ناهرة: تأدب يا بني.

فقلت له: لم قلت ذلك يا بني؟!

فقال: لأننا لسنا في أحسن حال؛ كما قالت. فقلت: لم؟

قال: لأنني طلبت منها حذاء في بداية العام الدراسي، ولم تشتره، وطلبت منها كذلك أدوات دراسية، ولم تستطع أن تحضرها، وطلبت منها ملابس جديدة، دون جدوي، حتى اللحم، لم نتذوقه منذ أرسل لنا الجار لحم الاضحية في العيد، فكيف نكون بخير، وفي أحسن حال؟

فنهرته أمه في خجل قائلة: يا بني لسنا مدينين لأحد كغيرنا، ولسنا مرضى نحتاج للعلاج كغيرنا، ولم نبت يوماً جوعى كغيرنا، ولم نمد أيدينا تسولا في الشوارع كغيرنا، ثم وجهت حديثها نحوي وقالت:

يا سيدي نحن بالفعل في أحسن حال، ولا نحتاج سوى رضاء الله، وأن يرزقنا الحلال وأن يبارك لنا فيه، وانصرفت عنها في دهشه..

وأيقنت يا سادة:

أن هذه القناعة هي سر السعادة، تلك التي تجعل أصحابها أسعد السعداء، وأغني الاغنياء، بلا رؤوس أموال، أو حتي عقارات، أو سلطان أونفوذ، فقط بالقناعة والرضاء، تكن أغنى الأغنياء وأسعد السعداء ...

مشاعر نحو الشرق..

في يوم ما، قال لي أحدهم: إن أعراض العشق الفاضحة، لا تظهر إلا في أعين العاشقين، تلك العلامات، التي تجعلك دوماً كعاشق في حالة من التصالح مع النفس، وكذا التسامح مع فحش الآخرين.

وقتذاك تهكمت عليه ساخراً، بأن تلك العلامات لا يصاب بها سوى الضعفاء من البشر، وأصحاب القلوب الواهنة، والعقول الخربة الماجنة.

ثم.. فجأة ودون مقدمات، وجدتني أعيش تلك الأعراض، فقد بدأت عيناي تغترب كثيراً نحو الشرق، وبدا عقلي يموج بسحابات من الوله والعشق المزمن غير الحميد.

ما زلت أذكر يوم أن ربتت على يدي وقالت لي_لما أبديت قلقاً_ لا تعبأ بمن حولي، فهم لاشيء، أمام لذة العشق، الذي ألعقه من رحيق شفتيك، وما أشتمه من عبير سحر نظرات عينيك، هم فقط يتوقون للحظات من فيض أنت سطرته في فؤادي، يتلذذون ويتمتعون بلحظات، رأوا فيها مني ما يراه العوام أمثالهم، أما أنت كصاحب صكوك العشق الأعظم في حياتي فقد ملكت بداخلي قلباً، لم يسطتع أن يحتوي غيرك.

الآن، يا ملهمة العشق النقي، لم تعد تمر ساعات عمري، دون أن أتطهر بدمع الصبابة من عينيك، وأنوي لصلاة الحب في محراب قلبك، وطقوس العشق في معبد روحك، كي أعيش لحظات القرب في ذكريات معيتك.

تلكم_يا صديقي_ هي قواعد العشق والغرام، التي تعلمتها من سحر عينيها، وقتما التقى بغير قصد شغاف قلبينا ، وتآلفت بغير عمد خلجات روحينا، وتعانقت بإصرار نظرات عينينا، عندما تأهب قرص الشمس الأحمر الداكن للغروب بحبيبتي_على غير العادة_ نحو الشرق..

إبحث عن الجمال في نفسك ،،،

لم يعد الجمال في رأيي هو ذاك الطيف الشارد، من تلك العيون الجميلة، فلم أعد أهتم كثيراً بالجميلات، ذواتي العينين الساحرتين، أو الشعر الناعم الطويل المسدل على الجسد الممشوق قوامه، الآن وبعد مرور عشرات السنين من العيش وسط جدران الأشكال المرسومة، لم أعد أهتم كثيراً سوى بكلمات قليلة، قد تخرج بصدق من بين جنبات قلب كسير، أو من بين شفتي إنسان بائس مقهور، لم يعد اللون أو الرسم أو الوصف يهم كثيراً، مع كثير من الكذب والنفاق السائد، دعونا فقط ننعم بالحقائق الثابتة التي لا تتغير ولا تتقلب ولا تتبدل، فبداخلنا قلوب وأفئدة تحتاج فقط إلى الصدق، كي تعيش معتدلة بلا انحراف في الذوق أوالمشاعر .

فقط عليك أن تكتشف الجمال بداخلك، قد تدلك عليه آية كريمة، حركت فيك ساكناً، أو ضحكة عجوز مددت لها يد العون، أو بسمة يتيم شعر بقربك منه، أو دعوة أم أمنت لصغارها قوت يومهم، أو حتى دمعة صبي عند فراقك له، ذاك هو الجمال لا غيره، فالجمال يكمن في صدق المشاعر لا زيفها .

رحيل الأصدقاء من القلوب ..

في كل يوم يمر علينا في تلك الحياة، نفقد أناساً كانوا لنا رفاق درب وحياة، كنا نحسبهم لنا سنداً وعوناً على عقبات وصدمات الافكار الرديئة، تلك الحقيقة التي كانت تجعلنا دوماً نشعر بالخوف من المستقبل الغامض الغادر، الذي يتوارى بين جنبات الحاضر الجميل، تلك المشاعر الحزينة التي أحاطت روائع وأدب وكتابات ديستوفيسكي، وسيطرت على شعر ومشاعر محمود درويش..

أذكر أن كان لي وقت ما رفاقاً وأحبة كثر في تلك الحياة، وكان منهم قليلون يمتلكون كل مشاعرنا، والآن، قد غادر بعضهم _ بغير طواعية منهم_ هذا العالم فجأة وبلا سابق إنذار، أما البعض الآخر فقد غادر قلوبنا _بكل قسوة_بلا أسف أو اعتذار، ولم يعد لهم منا سوى بقية من المشاعر المكبوتة،من الشوق والحنين.

لم تكن أبداً صدفة أيها العالم السحيق، أن تخطف منا بعنفك الأحباء، ولم تكن أبداً هفوة أيتها الحياة القاسية، أن يختفي عنا الأصدقاء، أو يرحل عنا الأحباء والأخلاء دونما ذنب منا اقترفناه، سوى أننا منحناهم بلا تردد جل مشاعرنا الصادقة، وبلا مقابل ..

رحم الله من رحل عن دنيانا من الأحبة والأصدقاء ورفقاء العمر، وعوضنا خيراً عمن غادر منهم قلوبنا، بلا شفقة، أو رحمة، أو مبرر، أو إعذار ..

شمس الأصيل

مع غروب شمس الأصيل، وفي كل يوم خميس، ومنذ سبع سنوات، يجلس الأستاذ مصطفى، في أطراف الحديقة الشاسعة على أريكة خشبية، وسط أشجار الكافور العملاقة، ويقترب منه النادل، ويسأله عن مشروبه، فيجيب: قهوة غير محلاة، وعصير مانجو طازج، فيتعجب النادل، ويتمتم بكلمات لمن يطلب هذا الرجل عصير المانجو، وينصرف لتلبة الطلب دونما تعليق، ثم يستعيد الأستاذ مصطفى الذكريات:

" في هذا المكان، وفي ذات الوقت من النهار، ومع ذات المشروب المفضل، كان اللقاء الأول مع تلك الفتاة الرقيقة، التي ارتبط بها، واستمر هذا اللقاء لعدة سنوات طويلة، حتى بعد الزواج، إلا في حال الضرورة القصوى، كانا دوماً يحرصان على الخروج إلى هذا المكان أخر خميس من كل شهر، حتى توفاها الله منذ سبع سنوات، وكان ذلك يوم الخميس الأخير من شهر مايو، ومنذ ذاك التاريخ كان يحرص الأستاذ مصطفى، على أن يأتي إلى ذات المكان، في كل خميس، ليحيي ذكرى وفاة زوجته وحبيبته، كي يستعيد الذكريات الجميلة، مع غروب شمس الأصيل.

فهنا كانت تجلس بجواري، تراقب الشمس تزحف نحو الغروب، وهنا تقف لتنظر الى مياه النهر وهي تنساب بين الكتل الخرسانية، وهنا ياتي المصور ليلتقط بعض الصور لنا معاً، وهناك خلف تلك الشجرة الضخمة، تمسك بكأس "الآيس كريم" بعيداً عن أعين الجميع، إلا عني، فنضحك معاً، حتى تغيب عنا الشمس، فنلملم أشياءنا، ونعود إلى المنزل.

ظللنا على هذا، حتى غابت عنا شمس الحياة، وغابت معها شريكة الحياة، ورفيقة العمر، ولكن لم تغب عني يوماً ذكراها...

لا تتردد كثيراً ..

أي ناموس كون هذا الذي يجعل الإنسان يتخذ مواقف غير صادقة، ولاتعبر عما بداخله، أي قانون طبيعة، يجعلك تعيش عمرك بائساً حزيناً؟! وما الدافع أو الوازع أو السر الذي يجعلك تفلت من تحب وتهوى من ببن يديك؟!

أهو قانون الهوى الجائر، أم قانون التهادن، أم قانون التخاذل؟!

لم يكن أبداً من الطبيعي أو الإنصاف؛ أن يجعل المرء قلبه تعيساً مقهوراً طوال حياته، دونما سبب أو هدف لذلك؛ سوى الاستسلام لآراء غير سوية ممن حوله ..

لم، لم تكن يوماً تتحلى بالشجاعة، كي تبوح بما يجيش في صدرك من مشاعر نحو من تحب؟! فمنذ نعومة أظافرك، وقد كنتما رفاق الدرس، وكانت دوماً تدفعك نحو البوح بما في قلبك، إلا أنك كنت دوماً في تخاذل نفسي غير منصف، حتى عندما ضاعت منك، واختفت إلى عالم بعيد لا تعلم مداه؛ هنا فقط أدركت أن الحياة أقل وأوهن وأقصر من أن تعيشها سوى مرة واحدة، دونما تخاذل أو تهادن أو ضعف أو انكسار، ولكن هيهات؛ فقد مضت الحياة بك إلى حيث لا تدري، أو تشاء، أو تحب ..

نعم لاتدع مشاعر التخاذل تعبر عنك يوماً، ولا تمنح الضعف والتهاون فرصة التحدث الرسمي عن قلبك، ولا تفلت الحياة الجميلة من بين يديك، إلى حيث لا تدري أو تحب، ثم تعاود البحث عنها فلن تجد وقتذاك سوى الأطلال، فتندم حتى نهاية العمر.

مادمت معتدلاً، فعش كما شئت، وكما شاءت لك الأقدار، ومادمت متزناً، فافعل ما تود فعله لمن تحب، ولاتعبأ بآراء من حولك_غير السوية_ ولا تجعل قانون التهاون والتخاذل والتهادن والانكسار يتحكم بمشاعرك، أو يسيطر على رغباتك المشروعة والشرعية يوماً ما..

عليك أنت وحدك، أن تتخطى كل الحواجز، العقبات، السدود، التقاليد العقيمة، والأعراف السحيقة، ولا تتردد في أن تمنح السعادة من داخلك، لنفسك وللآخرين، وإلا فلتعش وحدك أسيراً لعقلك الحاكم الغاشم المستبد ..

إستمع لإبنتك أولاً..

يدخل صديقي غرفة ابنته فجأة، فيجدها تتحدث عبر كاميرا الهاتف إلى شاب آخر، ينزعج الأب، ويصيح ثائراً فيها بأبشع الألفاظ، ويزداد الأمر بأن يصفعها علي وجهها، ويقذف بهاتفها في الحائط بشدة، فتصرخ الفتاة باكية، وتحاول أن توضح له الأمر، بأنها كانت تتحدث مع زميلها وباب غرفتها لم يكن مغلقاً، وأن هذا أمر لا شيء فيه، وليس بعيب بين الزملاء، فيلتفت عنها ولا يستمع إليها الأب، بل يتوعدها ويهددها بعدم الخروج إلى الجامعة مرة أخرى، وتتدخل الأم، فتنال نصيبها من الشتائم والسباب، جزاء على إهمالها في التربية والمراقبة لإبنتها..

وأقول له يا صديقي العزيز: كان عليك أن تجلس مع ابنتك وتستمع إليها، وأن تحتويها بحنان وعطف الأبوة، لا أن تضربها وتنهرها، عليك يا صديقي أن تصاحبها، وتمنحها قدراً من الثقة، ثم تبين لها مدى خطأ وخطورة ما أقدمت عليه، كان عليك أن تتخذ من رسولنا الكريم القدوة في معاملته لبناته بالنصح والرفق والعطف والحنان، وروي أنه صلي الله عليه وسلم: كان لا ينام حتى يقبل ابنته، وريحانته فاطمة ويناديها يا أم أبيك، كان عليك يا صديقي أن تشبع ابنتك وقرة عينيك عطفاً وحناناً، لا ضرباً وسباً وشتماً..

مازالت الأماني ممكنة

كنت أرى الدنيا جميلة الجميلات، كنت أفعل بها ما أريد في أي وقت، بأي مكان، كنت أعيش الحياة بحلوها دون مرها، تحقق لي كل الأحلام والأمنيات بمجرد التفكير فيها..

ثم استطرد الشاب يقول: كنت كبير إخوتي، وأول فرحة والدي _كما يقولون_ ، كنت مدللاً، لا يرد لي طلب أبداً، أياً كان نوعه.

ثم اتكأ الشاب الهزيل على فراش المرض داخل المشفى، أثناء زياتي له، وقال:

الآن، بعد أن أصابني المرض العضال، وأصبحت قعيد الفراش، لم أعد قادراً على فعل أي شيء، في أي وقت، وفي أي مكان، بل لم أعد أستطيع حتى مجرد الحلم أوالتمني، فقط علي أن أنتظر عاجزاً ذلك المصير الذي سطره لي القدر، فأموت كل يوم ألف مرة حسرة؛ كلما أري تلك النظرات المشفقه علي في أعين كل الزملاء والأصدقاء والأقارب، بل إنني أموت كل لحظة، عندما أنظر في عيني أمي أو أبي، عندما يحاولان مواساتي في محنتي، كما أموت الآن أمامك يا عمي، وأنا أبصر الدموع في عينيك..

أعلم أن الحياة لم تعد جميلة، وأن المصير قد يكون مظلما، كما أعلم تمام العلم أن كل الأماني الآن لم تعد ممكنة.. ثم ذهب الشاب في حالة من البكاء الشديد ..

إعلم أيها الابن الغالي، واعلموا كذلك أيها الأبناء الأعزاء، أن ما يقدره الله لنا من ابتلاءات ليست أمراً مكروهاً، وهو القادر سبحانه أن يعافنا مما ابتلانا به من الأمراض، بقدرته ورحمته سبحانه، فلا تقنطوا يوماً من رحمة الله ...

موعد مع القدر ...

تدخل عليه زوجته وهو في قمة أناقته فتأتي بالعطر الخاص به، وتساله وهي تهندم له ربطة العنق: ما هذه الشياكة والأناقة ياحبيبي؟ فيخبرها بأن لديه لقاء مهم جداً، فتدعو له بالتوفيق والسداد.

يستقل سيارته الفارهة، ويشرد بتفكيره: أخيراً، وبعد إلحاح مني، وافقت على لقائي، حسبما حددت أنا المكان والزمان، فلابد وأنها استسلمت لمشاعرها نحوي، واليوم سوف أبوح بحبي لها، ولن يكون زواجي الأول أو الفارق العمري بيننا عائقاً لهذا الحب

يصل بسيارته إلى المكان الذي اتفقا عليه ،إنه مقهى يطل على نهر النيل، تحيط به الأشجار العملاقة، فهو مكان ساحر خلاب، اختاره ليليق بهذا اللقاء، والموعد هو وقت ماقبل الغروب وقت الشفق وقت السحر والخيال، دلف إلى المكان وسأل النادل عن أفضل طاولة بعيدة، عن الإزعاج فدله على مكان ساحر، كأنه جزيرة في البحر، محاطة بالمياه والأشجار ،وظل شارداً بالفكر سارحا في الخيال حائراً : من أين أبدأ كلامي معها، لابد أنه سيكون هناك لقاءات أخرى فلا أتعجل الحديث في تحديد موعد للخطبة.

ها هي، أراها من بعيد، تدخل المكان في رقة وحياء، تقترب مني، فيخفق قلبي لها بقوة، تتلعثم الكلمات على لساني، وترتجف قدماي عندما وقفت أمد يدي لأرحب بها، تجلس في مواجهتي، وأشير إلى النادل لإحضار قائمة المشروبات، فأبصر شاباً أنيقا يأتي خلفها، فيسلم علي ويجلس بجوارها، وتبدأ بالتعارف بيني وبينه، فتخبره بأنني صديق والدها، وفي مقام عمها، وأخبرتني أن هذا الشاب هو خطيبها.

كنت أستمع إليها في ذهول، وهي تخبرني بأنها قد أتت كي تدعوني وأسرتي لحضور حفل خطبتها، بعد اسبوع، ولم أنطق بكلمة واحدة، ووجدتني بلا إرادة أهم واقفاً، فأقبلها فوق جبينها، وأبارك لهما، وأنصرف من المكان في صمت وهدوء.

ثم أعود إلى منزلي، فأجد زوجتي في انتظاري فتسألني: لم عدت مبكراً ؟ فأرد: أن دعاءك يسر لي أمري، فعدت إليك كي أشكرك، وأخذت أقبل يدي زوجتي.

أيها الأزواج: إبحثوا عن السعادة في بيوتكم، فكي تستقيم الحياة الهادئة السعيدة؛ يجب أن يستقيم الفكر القويم، بعيداً عن التطرف والشطط في التفكير .

الرضا بالقدر دواء لكل داء ،،،

أثناء وجودي بأحدى المشافي الطبية رفقة صديق عزيز، وبعد أن أجرى بعض التحاليل والفحوصات الطبية، لاحظت عليه بعض علامات الاحباط والضجر من نتيجة التحاليل، فحاولت جاهداً التخفيف عنه، بأن ما أصابه هو ابتلاء من الله، وأن الابتلاء من الله مغفرة ورحمة ومحبة، ولكن دون جدوى فقد ألمت به حالة من الحزن الشديد، وعندما هممنا بالانصراف تصادف وجود ثلاث من الشباب، كان أحدهم يجري بعض الفحوصات، ودلفنا جميعاً إلى المصعد الكهربائي، وهنا قال أحدهم ناصحا لصديقة، عليك أن تقلل من تناول السكريات، وقال له الآخر، وكذلك عليك أن تقلل من تناول الموالح والدهون، وإن شاء الله ستكون بخير ، فأجابهما ثالثهم المريض مبتسماً بأنه قد ولد مريضاً بداء السكري، وهو الآن في الخامسة والعشرين من عمره، وقد ابتلاه الله بهذا المرض ومنحه الدواء، وأن الدواء هو الرضاء بما قسمه الله وقدره له،،

وكأن هذا الشاب قد أوجده الله للتخفيف عن صديقي، الذي نظر إلي على استحياء مبتسماً في رضاء مما ابتلاه الله به حامدا لله ،،

نعم يا سادة إن الدواء الأكيد لكل داء، هو اليقين بأنه لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا، وأنه إذا أحب الله عبده ابتلاه، فعلينا أن نبادل محبة الله لنا بمحبة وسعادة ورضاء بما قدره لنا ،، والحمد لله في السراء والضراء ،،،

ادعو لأمك كثيراً

وقفت الفتاة الشابة في حزن وألم، وقالت يا سيدي: كيف لي أن أحتفل بأمي، وقد رحلت عن الحياة، رحلت بعد معاناة وصراع مع المرض العضال، لم نكن نمتلك من حطام الدنيا شيئاً بعد أن انفصل عنها والدي، منذ أكثر من عشر سنوات، فقد تركنا بلا رحمة ولا شفقة، كنت وأخي دون السابعة من عمرنا آنذاك، لقد ماتت ولم تذق من الدنيا سوى المر والقهر والعذاب والشقاء، كي تقوم على رعايتنا، وعندما ألم بها المرض، لم نستطع حتى توفير ثمن الدواء، ظلت تتردد على المستشفى الحكومي لسنوات، حتي صعدت روحها الطاهره إلى الله، بين زراعي الضعيفتين، فكيف لي أن أغفر لأبي ظلمه لها، وكيف لي أن أغفر للمجتمع قسوته عليها، وكيف لي أن أحتفل بها وأنا لا أقوى على الحياة بدونها، فقد كانت كلماتها الحزينة لي نوراً، يهديني نحو التفوق والنجاح، وكانت بسمتها دواء لكل آلام الدنيا وقسوتها، الآن لم تعد أمي في الحياة ولم يعد لي هدف سوى اللحاق بها حيثما تكون بجوار الإله .

نعم يا صغيرتي، هي الأم وحدها الملجأ والملاذ، من قسوة الحياة ومن ظلم البشر، ولكن دائماً وأبداً هناك الإله، العلي الأعظم، اللطيف الأرحم، يا حبيبتي لاتقنطي من رحمة الله، واعلمي: أنه تعالي قد اختار أمك إلى مكان أفضل، كي تنعم بعد شقاء، وتهنأ بعد عناء، وتبرأ من كل داء، ولك أن تحتفي بها بالدعاء لها، والصلاة من أجلها، فهي الآن بجنات النعيم، بجوار الذي لا يغفل ولا ينام ،،،

في محطة مصر ،،،

يدق جرس الهاتف إنه كريم، فترد حنان، تلك الفتاة الجميلة الرقيقة، ذات العشرين من عمرها

- مرحباً كريم
- كريم: مرحباً حنان، هل استعددت للخروج
- حنان: أليس الوقت مبكراً يا كريم ؟
- كريم: أود أن نبدأ اليوم من بدايته يا حنان، فقد حصلت على موافقة والديك بصعوبة، كي أصطحبك للتنزه ليوم واحد في مدينة الاسكندرية، وذلك قبل عودتي الى خارج البلاد بعد الغد إن شاء الله
- حنان ضاحكة : لا تنسى الشرط يا كريم، وهو أن يرافقني شقيقي الأصغر أحمد في هذا اليوم
- كريم ضاحكاً: وإن كنت أود أن تكوني معي وحدك، فنحن عاقدي القران، ولكن لا بأس فلن أرى في هذا اليوم سواك يا حنان، حتى لو كنت بين الآلاف من البشر فلا أرى سواك
- حنان برقة :وأنا كذلك يا كريم، لا أرى سواك بعيني وبقلبي وبعقلي، وكم انتظرت عودتك من الخارج بشوق وصبر
- كريم بأسى: لقد قرب الوقت يا حنان، ولم يبق إلا عام واحد، وتنهين دراستك وأعود لإتمام الزواج ، ونظل بعدها معا طوال العمر
- حنان: بمشيئة الله يا كريم

- كريم بحماس: هيا يا حنان أنا بانتظارك بالأسفل كي لا نتأخر
- حنان: فلتصعد لتناول الفطور أولاً يا كريم
- كريم: سوف نتناوله معاً في القطار، فالوقت أمامنا طويل، فقط أعدي لنا بعض لفائف الطعام وزجاجة مياه
- حنان بتعجب: لم أدر لماذا تصر على السفر بالقطار يا كريم
- كريم: السفر بالقطار الى الاسكندرية أكثر أمانا عن السيارات، ولقد حجزت تذاكر السفر في عربات الدرجة الأولى الفاخرة، كي نكون على راحتنا وفي أمان أكثر من سفر السيارات
- حنان: حسناً دقائق وأكون عندك

وبعد لحظات، تهبط حنان وشقيقها الأصغر أحمد، ويصطحبهم كريم مستقلا سيارة أجرة حتى محطة القطار في فرح وسعادة وأمل بيوم جميل مع حبيبته، قبل العودة الى عمله بالخارج

ويصلون الى محطة مصر، حيث الزحام الشديد على الأرصفة، ويجلسون على أريكة خشبية على رصيف رقم 6 في انتظار قطار الاسكندرية،ويحاول كريم الانفراد بحنان قليلاً، فيطلب من شقيقخا أحمد شراء بعض المسليات والعصائر، فيلبي أحمد فرحاً بما سوف يشتريه لنفسه، وهنا ينظر كريم الى حنان في مودة قائلا

ً :

- كم أحببتك واشتقت إليك يا حنان
- حنان بحياء: وكم أشتاق إليك يا كريم أثناء سفرك للخارج، فقد مضى على عقد قراننا عام ونصف العام ولم أرك منذ ذاك الحين
- كريم :باقي من الزمن عام واحد يا حنان، ثم نتم زفافنا، ونبقى معاً باقي العمر
- حنان: ما أطوله من عام يا حبيبي
- كريم: سوف أحصي الساعات والأيام والشهور حتى ذاك اليوم يا حبيبتي

وينظر كلاهما للآخر في مودة واشتياق، ثم
يسمع دوي انفجار شديد مع نيران من جانب القاطرة المنفجرة، فتصرخ حنان بأعلى صوت، فيحتضنها كريم بقوة، فتلتهما النيران في ثوان معدودة، ويرقد الحبيبان معاً الى الأبد ،،،

أشرف قام بالإرسال اليوم، الساعة 5:01 م
ألف .... باء .... بين الواقع والخيال ..

تقف المعلمة بين التلاميذ وتقول: إعلموا يا أبنائي، أن العلاقات الإنسانية بين الزوجين، تقوم على مشاعر المودة والرحمة والسكينة، وأن قوامها الاحترام المتبادل بينهما، ومن هنا تبدأ الحضارات الإنسانية نسج خيوطها العريقة نحو الرقي والتقدم، فالأسرة؛ هي بداية كل مجتمع متحضر، تسوده الأخلاق الكريمة والمثل العليا.

هنا؛ ترفع التلميذة نهاد يدها، طالبة الإذن لها بالحديث، فتأذن لها المعلمة، فتقول: وماذا يا سيدتي لو لم تسد روح المودة والرحمة داخل الأسرة، ماذا لو كانت الخلافات والمشاحنات هي الواقع السائد ،ماذا لو غاب عنها الاحترام والأخلاق داخل البيت، ماذا لو علت الأصوات، ماذا لو سادت فقط الاضطرابات بين الأزواج، ماذا لو تأثر بها الأبناء، ففقدوا معني الحب والود والاحترام، داخل اطار الأسرة ؟؟

تصمت المعلمة قليلاً، وترد قائلة: لندع يا بنيتي كل تلك السلبيات، ولتبدأ كل منكن بنفسها، ولتتمسك بتعاليم دينها، بعيداً عما يحدث من تناحر وتشاحن بين الآباء، ولتقاوم كل الملهيات والبذاءات التي تحدث داخل المنزل، كي تنهض بأسرة سعيدة، ومجتمع متحضر، وأمة راقية متقدمة، بين الأمم .

أيها الأزواج: لننأى بأنفسنا وأولادنا، بعيداً عن الصراعات الحياتية، لنزرع في لأبنائنا روح المودة والرحمة، تلك التي يأمرنا بها ديننا الحنيف، كي تستقيم الحياة، ويعم التوازن النفسي والاخلاقي، داخل الأسرة والمجتمع..

عزف سيمفونية التحدي ...

كان صبياً في الخامسة عشرة من عمره ،عندما التحق بمسرح مدرسته ليتعلم الفن الراقي عام 1993، ولم يكن يعلم ما يخبئه له القدر من أوجاع وألم ، ومع الدرس الأول تلاقت عيناه بعينيها فكان لقاء القلوب، فهي معلمته وسيدة المسرح والتي تكبره بأربعة وعشرين عاماً، وأم لثلاثة أبناء في مثل عمره ،ومنذ ذلك اليوم لم يفترقا يوماً، فقد تعصر وتعصف بهما أمواج الحياة القوية مرة وسط اعتراضات من الأهل والأقارب ،وقد تحنو عليهما بنظرة من الحب والمودة فتزيل الألم والهوان من القلوب مرة اخرى ،يتصارعان مع الحياة دوماً من أجل حياة القلوب الدافئة ولغة العيون الصافية،وفي عام 2007 شاء القدر بعد يأس أن يحنو عليهما ويبارك لهما ،ليتزوجا رسمياً وسط ذهول الأهل والأقارب والمعارف ،ويبعث الشاب للجميع رسالة مفادها أن شجاعة حبيبته قد توجها القدر بالسعادة الزوجية الأبدية ،،، وبعد عشر سنوات في عام 2017 من الزواج يعتلي الشاب عرش دولة الحب والجمال والحياة، وتصبح هي سيدتها الأولى ،،،

إنها قصة حب وكفاح شاب رومانسي وسيدة قوية لم يؤثر فيها الفارق العمري،،،

انه إيمانويل ماكرون رئيس فرنسا والسيدة الأولى بريجيت ...

إنها القلوب يا سادة ،قد تتحكم في مصائر الأمم قبل البشر ،،،

إنه الإيمان بموقف والدفاع عنه وعدم الإلتفات للصغار والصغائر ، عندها ستصل لمرادك ،،،

بائعة المناديل الورقية

وجدتها سيدة عجوز تقف على قارعة الطريق، تمد يديها بعلبة المناديل الورقية، فمددت يدي إليها بخمسة جنيهات، فأعطتني واحدة منها، وهممت أن أستأنف السير بسيارتي، فنادتني: انتظر من فضلك، يوجد لك باقي، فقلت: هو لك، فرفضت بإصرار، فهبطت من سيارتي، وعدت إليها، وقلت لها: أنت كأختي، فلم تصرين هكذا؟! قالت: لا آخذ أكثر من حقي، والله يبارك، قلت: أين زوجك، وهل لك أولاد؟قالت توفي زوجي بعد مرض، وتركني ولي ابن في كلية الهندسة وابنة أنهت دراستها في الثانوية العامة بتفوق، وستلتحق بكلية الطب هذا العام، ونعيش في منزلنا داخل القرية الصغيرة.

قلت: وهل يكفي هذا العمل؟ قالت: نعم أبيع مايقارب مبلغ مئة جنيه يومياً، فأعطي صاحب البضاعة نصف المبلغ، ولي الباقي، وهو يكفينا، بجانب عمل ابني في الأجازة الصيفية، وأولادي ليسو مسرفين، فتوسلت إليها أن تأخذ أي مبلغ كمساعدة، فرفضت بإصرار، فعرضت عليها أن أشتري كل ما معها فرفضت وقالت يكفيك إحداها، فألححت عليها أن أشاركها، بأن نستأجر محلاً، وأوفر لها ثمن البضاعة، وأجرة المحل وتجهيزاته، على أن تقوم بالسداد على أقساط، قالت يابني أنت لاتعرفني وأنا لاأعرفك، قلت لها بأن الله يعرفنا يا أماه، فقالت أشير ولدي، فأعطيتها رقم هاتفي، واستحلفتها بالله أن توافق على الشراكة..

تلك القصة من واقع الحياة، أرويها لنأخذ منها العظة والعبرة، فهناك رجال وسيدات أعمال من يتكبد ألاف الجنيهات، كي يتفوق ابنه، وقد يتكبد مئات الآلاف كي يلتحق باحدى كليات القمة، وهذه السيدة يلتحق إبناها بكليتي الهندسة والطب، بلا إسراف أو تبذير، فقط بتقوى الله والقناعة ..

لنعلم أيها السادة: أن السعاده والغنى تكون بالقناعة بما معك، والرضاء بالقليل، والتعفف عما بأيدي الناس..

محتوى الكتاب